كنيسة مارجرجس اسبورتنج

رائحة المسيح في حياة أبرار مُعاصرين

الجزء الرابع

مقدمة

برهنت سير الابرار المعاصرين الذين دونا سيرهم فى الاجزاء الثلاثة الاولى من هذا الكتاب، ان الكنيسة فى ضمير شعبنا ليست تاريخا لقديسين انتهت سيرتهم بنهاية القرن الرابع، بل تاريخ حى ممتد، وان الذين هم للمسيح قد غلبوا الجسد والاهواء والشهوات، بل غلبوا العالم كله.

غلبوه بالمسيح الحى فيهم، وروح المسيح الذى هو اعظم من روح العالم. وايضا برهنت سيرتهم ان هناك شهودا للمسيح فى كل الاجيال لانه لا يترك نفسه بلا شاهد.

وقد اخذ شعبنا هذه العينات من حياة الايمان والقداسة والمحبة والاتضاع وكل الفضائل الروحية، اخذها شعبنا ليس كانها حكايات للتسلية او المتعة العقلية النابعة من القرأة... بل اخذها كما هى بالحقيقة نموذجا للحياة المسيحية وحافزا للجهاد الروحى والسعى فى الطريق، بل بالحرى ايضا كم شجعت وسندت ايمان كثيرين، اذ وجد كل من قرأها ما يناسب حياته وظروفه،

بل وفى احيان كثيرة ما يطابق حاله تماما ... فكان ذلك بالاكثر سبب رجاء لكثيرين فى نعمة المسيح مخلصنا وقوته القادرة ان تقيم من الموت ايضا.

ولذلك دفعنى ما لمسته من الاثار الروحية فى نفوس كثيرين ممن اعرفهم وممن لاأعرفهم بالوجه، لكنهم محبوبون عندنا كأبنا كنيستنا المقدسة، دفعنى ان اختلى مع نفسى فى الاوقات التى سمح لى الرب بها، واسترجع فى ذاكرتى ما عشته ورأيته من سنين كثيرة مضت ... أشكر ا انها لم تمح من التفاصيل والظروف وأسماء الأشخاص وكل الملابسات، لذاك لزم أن أقدم شكرى لنعمة المسيح التى تعمل فينا رغم ضعفنا وكثرة خطايانا.

أرجو الرب أن تصير حياة هؤلاء الأبرار دافعا بالأكثر لممارسة حياتنا فى المسيح ومشجعا على حياة الفضيلة حتى النفس الأخير. وليكن هذا الكتاب سبب بركة وسبب خلاص لكل من يقرأه ويطلع عليه. بشفاعة سيدتنا كلنا وفخر جنسنا العذراء القديسة مريم وكل مصاف القديسين.آمين.

لتمت نفسى موت الأبرار

أولاد ا ظاهرون كقول القديس يوحنا الحبيب فى رسالته، وهم دائما متميزين عن أولاد العالم الذين سماهم أيضا أولاد ابليس ، وهو نفس القول الذى قاله الرب يسوع لجماعة اليهود:

"أنتم من أب هو أبليس" وقال أيضا عنه:" أنه الكذاب وأبو الكذاب".

وما يميز أولاد ا مدى حياتهم على الأرض يظهر بأكثر جلاء فى لحظات انطلاقهم من هذا العالم، وهذا يصير سبب عزاء للمؤمنين، اذ يرون رؤى العين برهان الايمان ظاهرا بما لايدع مجالا للشك، وهذا يذكرنا دائما بقول الكتاب "لتمت نفسى موت الأبرار، ولتكن آخرتى كآخرتهم"... وقد سمح لى الرب أن أرى بعينى

الكثير من هذه العينات المباركة، فكان رحيلهم من هذا العالم الزائل سبب بركة لكثيرين ودافعا للتوبة للبعيدين ، وزيادة رجاء للسائرين على الطريق.

والأمر الذى يتكرر بطرق كثيرة ومتنوعة هو انفتاح البصيرة لأولئك الأبرار قبيل انطلاقهم، فكانوا يرون أمورا سماوية ومناظر الهية لايعبر عنها... فأحدهم وهو رجل ريفى تقى يخاف ا ، ويحيا فى وصاياه، خير ومحب للجميع. وكان وهو كبير عائلته صانع سلام وكثير الصلاة، كاروع مثال لباقى عائلته... اذ كانوا يرون فيه الكمال المسيحى من جهة السلوك وحفظ وصايا

المسيح، ومحبته للصوم والصلاة وتقديس النفس والحواس، فكان حقا قدوة صالحة، وانجيلا معاشا حلوا لكل أحد... بل قل أنه كان كاهن الأسرة، حتى أن كثيرين كانوا يأتون اليه طالبا للمشورة الصالحة فى كل أمور حياتهم، فكان هذا الرجل بركة وسبب بركة لكثيرين .

مرض الرجل فى أيامه الأخيرة فكانت صلواته لاتكف النهار والليل وشكره للمسيح شىء يتعجب منه، وكان يقول للكثيرين الذين حوله "صلوا...صلوا"، ويلتمس أن يقرأوا له فى الكتاب المقدس ولا سيما المزامير، وكلما صلوا المزامير كان يستزيدهم قائلا "قولوا تانى"... كانت المزامير هى سلواه فى مرضه وفى شيخوخته. ولما دنا وقت رحيله من العالم ، كانت العائلة وهى كبيرة العدد- أكثر من مائة شخص مع المحبين وعارفى فضله- قد اجتمعوا فى البيت. وكان البيت متسعا جدا من طراز البيوت القديمة، وكانوا جميعا يشعرون بعظم الخسارة التى ستلحقهم اذا ما فارقهم بالجسد.

كان الرجل يقول للذين حول فراشه:"صلوا لى المزامير الساعة السادسة" لأن الوقت كان قد قارب الظهيرة. وكانوا يصلون المزامير وهم فى تأثر شديد واضطراب، فكان يفتح عينيه ويشاركهم كلمات المزامير وهو معيى. اذ كانت لحظاته الأخيرة... ثم رشم ذاته بعلامة الصليب المحيى وهو فى كامل وعيه، وأغمض عينيه وغاب... فتحول الذين حول سريره الى البكاء وصرخت بعض السيدات من بناته وقريباته صراخا شديدا.

فتح الرجل عينيه وقال:"لماذا هذا الصراخ؟ قلت لكم صلوا المزامير...يأولاد أزعجتمونى... لقد طلعت السما وصوت التسبيح السماوى فى أذنى..."فجرى على الفور واحد من الحاضرين، وأحضر ورقة وقلما وقال له:"أرجوك ياجدى قل ماذا سمعت لكى أسجله"، فقال الرجل:"يابنى ده كلام لا يكتب،هل لغة السماء تكتب على الأرض؟ لايابنى..." وأغمض الرجل عينيه وفتحها فى السماء الى الأبد.

ما أجمل انتقال الأبرار... حقا"عزيز فى عينى الرب موت أصفيائه".

فقط عيشوا كما يحق لانجيل المسيح

عينة أخرى من النفوس النادرة التى رايتها تحيا حياة الوداعة بشبه المسيح... رجل فاضل كان يشتغل وظيفة كبيرة وهو مهندس خبير... ولكنه كما شهد عنه كل من احتك به فى العمل، لم يره أحد غاضبا قط.

شىء على غير عادة المركز القيادية التى تتطلب الحزم – الذى كثيرا ما تحول الى سلطة جزائية – والشخصية القوية المخوفة لدى المرؤوسين... لم يغير المركز شخصية هذا البار... ظل وديعا هادئا، صوته خفيف فيه رقة عجيبة، وللعجب ان الجميع كانوا يجاونه لوداعته وكانت كلماته الطيبة ذات فاعلية عجيبة لدى الجميع، ولم يكن أحد من مرؤوسيه يود أن يخالف له رأيا، فكان العمل يسير بروح قل أن تجدها فى مصالح العالم.

كان الرجل يستمد وداعته من عشرته مع مخلصه الذى قال" تعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب"فكان كثير الصلاة ، يقضى فيها ساعات طويلة... يحب الصلاة ويقوم مبكرا جدا.

الى جانب ذلك كان يلذ له أن يقرأ الكتاب المقدس فى بساطة، دون فلسفة أو تحوير... معانى الكتاب المقدس كانت أمامه بسيطة للحياة ولم تكن عقلانيات لحشو العقل واشباع الذكاء.

كان الانجيل للحياة، وللحياة فقط... وكان يقول لى ان أجمل آيه تعلقت بها حياته، وعلق عليها كل الحياة هى ما جاء فى رسالة فيلبى"فقط عيشوا كما يحق لانجيل المسيح". كان قد قرأها فى بكور حياته وهو طالب فى أولى هندسة...أحس أن هذه الآية تحوى الحياة كلها، فتعلق بها، يحفظها ليس حفظ الكلام، ويكررها ليس تكرار اللسان... كان يقولها كثيرا لأولاده وبيته، ويوصى أولاده بها..."فقط عيشوا كما يحق لانجيل المسيح".

كان اختلاط الرجل بالناس قليلا، فهو محب ولكن ليس له أصدقاء كثيرون خشية ضياع الوقت، فكان هادئا ويحب أن يحتفظ بهدوئه، وكان أصدقاؤه الذين اختارهم على شاكلته من الجدية والبساطة والوداعة فى نفس الوقت. فكانوا اذا اجتمعوا معا تحلو لهم العشرة بحسب قول المزمور "هوذا ما أحسن وما أحلى ان يجتمع الأخوة معا".

فى كثير من الأحيان كانوا يدعوننى اذا اجتمعوا فى بيت احدهم فكنت افرح أن أوجد فى وسطهم، وأن أقرأ معهم الانجيل أو أن نصلى معا، كنت أشعر كأننى أرتاح من العناء اذ تجد نفسى راحتها فى وسط هؤلاء الأحباء.

وفى صباح باكر أحد الأيام ايقظنى جرس التليفون واذا زوجته تصرخ:"الحقنى...فلان..." انزعجت روحى... ولا أعلم كيف ارتديت ملابسى؟ ولاكيف صرت فى الشارع؟ أجرى بخطى سريعة... ولا كيف دخلت الى بيتهم؟... فتحت لى الزوجة وهى فى حالة زهول... قالت:"تعال وانظر..."دخلت الى حجرته... كان نائما بوجه مشرق جميل ويداه على صدره ممسكا بالكتاب المقدس، مددت يدى وأخذت الانجيل من

يديه... كان مفتوحا على رسالة فيلبى... وقعت عيناى على الآية" فقط عيشوا كما يحق لانجيل المسح..." وكأن الآية تلمع بحروف من نور... انها آية حياة... تعلق بها هذا البار فرفعته الى السماء وانطلق وهو متمسك بها الى أن جاز الى الأخدار السماوية...طوباه.

وداعة الحملان وشجاعة الشهداء

كنا نتعزى بمثل هذه الأخبار والمثل الحية فى حياة البر وراحة المختارين فى بيت أحد الأحباء، وهو انسان مملوء محبة، ويحيا حياة مسيحية فقال:"أظن أن مهما بلغ الأمر من كشف فى حياة أولاد ا   فهذا لايبلغ ما رأيناه فى حياة والدى نيح ا   نفسه". وكان يجلس معنا فى ذات المساء أقارب كثيرون لهذا الأخ المبارك، وكانوا شهود عيان لما حدث... قلت:"دعونا نتعزى بأخبار الأبرار"، قال ودموعه تكاد تغالبه رغم مضى أكثر من عشرين سنة على وفاة والده:

"كان والدى فى الأربعينات الأولى من عمره وهو مكتمل الصحة لم يصب بمرض قط، وكان رقيقا محبا عطوفا على الفقراء لدرجة لم يعرفها أحد من كل عائلتنا للدرجة التى كانوا يتهمونه فيها بالسذاجة، لأنه كان فى نظرهم يبذر أمواله على المساكين والمحتاجين، وأيضا كان رجلا عطوف القلب رحيما لايطيق أن يرى أو يسمع عنفا أو مشاجرة... فكان ان تصادف وهو واقف فى شرفة المنزل ورأى أناسا يتشاجرون يدخل مسرعا ويغلق الباب خلفه، ولا يطيق أن يسمع كلمات الشتيمة أو السباب أو الصوت العالى.

وكان مواظبا على حضور القداسات منتظما فى صلوات الأجبية... كان العلم والوعظ فى أيامه قليلا ولاسيما فى البلدة التى كانوا فيها وهى مركز من مراكز المنيا... ولكنه كان لايحتاج الى وعظ، فالحياة المسيحية عنده اهم، والممارسة وحياة الفضيلة التى يحياها كانت هى شغله الشاغل... وكانت والدتى- كانت من بين الجالسين معنا فى تلك الليلة- ساذجة لاتعرف من الحياة شيئا سوى بيتها وأطفالها الثلاثة... لاتخرج خارج البيت الا عند ذهابها الى الكنيسة.

كان أبى موسرا غنيا... عنده أراضى وأملاك وأموال، وكان يدير أموره بلا ارتباك... وكان يعفى والدتى تماما من كل الاهتمامات العالمية... ويوفر لها كل شىء فكانت هى تنعم بالحياة بدون ارتباك... حياتهم كانت مثل ترنيمة جميلة... لم نسمع مطلقا أن خلافا دب بين والدى ووالدتى وما رأيناهم قط يتشاجران أو يختلفان".

وكان وقت قوله هذا الكلام أن والدته- وهى سيدة تقية محبة للمسيح- تبكى بهدوء ودموعها تجرى على وجهها الملائكى... شىء مؤثر للغاية.

قلت:" نحن نطوب انسانا وصل الى ميناء السلام وهو الأن ينعم بخيرات أبدية فوق كل مستوى الأرض ومسراتها فلماذا البكاء؟ أرجوكم ارفعوا عقولكم الى حيث المسيح جالس لكى لايكدر العدو صفونا"، فاستمر هذا الاخ فى حديثه... قلت مقاطعا:" عندما تنيح بابا، كم من السنين كان لك؟" قال"١٦ سنة". قلت:" كنت اذا مدركا لما يدور حولك؟" قال:" طبعا كنت شابا فى ثانوى..." قلت:"أكمل حديثك بدون انزعاج".

قال:" فى يوم من الأيام صحا والدى من نومه وتناول طعام الافطار معنا، ذهبنا الى مدارسنا وبقى هو ووالدتى فى المنزل... قالت ماما:" أنت مش نازل اليوم لتذهب الى عملك؟" قال:" لا أنا أجازة اليوم..." ثم دعا والدتى الى حجرة مكتبه وقال لها بابتسامة رقيقة :" أنا عاوز أطلعك على بعض أوراقى..." قالت:" خيرا"، وأبتدأ يطلعها على جميع أوراق أملاكه من أطيان ونقود بالبنك وأملاك... الى آخره فقالت وقد استبد بها

الانزعاج:" لماذا كل هذا؟ أنا لاأريد أن أعرف شيئا من كل ذلك..."قال وهو هادىء جدا:"لابد أن تعرفى... لقد حملت عنك هذا الحمل كل هذه السنين، واليوم لزم أن تعرفى كل شىء حتى تحملى المسئولية..." قالت:مسئولية ايه؟"، وفجأة أنخرطت فى البكاء فكان يهدىء من روعها ويربت على كتفها ويقول:"انت بتعملى كده ليه؟... ربنا مدبر الخليقة كلها سيدبر أمورك ويعتنى بك... لأننى أنهيت أيامى على الأرض وأنا ماضى الى المسيح اليوم".

انهارت والدتى وهى تقول:"مش ممكن...ايه الكلام الفارغ ده...أنت فى عز شبابك وفى كامل صحتك، لو أنت مريض أو شاعر بمرض نستدعى الدكتور..."فقال لها :"صدقينى ياعزيزتى اننى كما تقولين ولكن ده أمر ربنا..." قالت له:"أرجو كف عن هذا الهزل وهذه النكتة السخيفة، وان كنت تريدنى أن أشاركك المسئولية فى تدبير شئونك فانا شريكة حياتك..."قال لها: "لامانع"وهدأ من روعها وأطلعها على كل ما عنده من أسرار ثم عمل بعض المكالمات التليفونية، وكانت هى فى أثنائها فى حجرتها ترتب بعض أمورها.

قام والدى من حجرة المكتب ثم دخل الحمام واستحم ولبس ملابس جديدة ثم رقد على سريره وأمسك كتاب الأجبية يقرأ بعض المزامير... عادت والدتى الى الحجرة لتجده هكذا نائما... وقد أسلم روحه بثيد المسيح.

كانت تصرخ وهى غير مصدقة... وما هى الا دقائق ودخلت عمتى – وهى سيدة متقدمة فى أيامها... وقالت:"يابنى دا أخويا كان ملاكا ولم يكن انسانا..." كانت العمة فى ذلك الوقت تسكن على بعد ساعة ونصف فى بلدة مجاورة... لقد استدعاها بابا بالتليفون وقال لها:"أنا مسافر دلوقت وعاوزك تحضرى حالا علشان زوجتى منزعجة وأرجوك أن تكونى بجوارها..." قالت عمتى
"ماذا يزعجها من سفرك؟" قال:"مش عارف..." قالت : " لا، لازم فيه حاجة تانية..." قال لها:
"لما تيجى تعرفى".

اجتمع الجيران على هذا الخبر المفاجىء المفجع غير مصدقين. وفيما هم كذلك، اذا رجل صاحب محل فراشة يقول:" المهندس بولس اتصل بى من ساعتين وقال عندنا حالة وفاة" ويطلب اقامة سرادق بجوار المنزل... كان الرجل وهو غير مسيحى يلطم وجهه بكفيه ويقول:"مش معقول...شىء مذهل ، أكاد أفقد عقلى"، ولما سمع تفاصيل الأمر ، قال:" حقا ان عبادتكم صدق وعندكم قديسين، بل ومازال عندكم قديسون ... لقد رأيت بعينى وسمعت بأذنى".

ذهبت ماما لترى عمتى المكتب وما بداخله من أوراق... وجدت على المكت ورقة كتبها والدى وهو النعى الذى نشر بجريدة الأهرام... لقد جهز كل شىء بهدوء حتى النعى... لأنه يعلم أن والدتى فى ذلك الحين لم يكن لها دراية بأى شىء من هذه الأمور وهو لم يكن له اخوة ذكور.

ومن الغريب أنه بصلوات أبى أعطى الرب والدتى روح تدبير، فأدارت كل الأملاك والأموال بذات الروح... وكانت لها هيبة أمام المزارعين، ولم تتعرض لشىء من المصاعب التى غالبا ما يتعرض لها ممن يعيشون تحت نفس الظروف ... ونشكر ا ...أننا نثق أن روح والدى ترافقنا فنحيا كأنه معنا يصلى عنا".

قمنا بعد ذلك... صلينا وشعرنا أن اخوتنا الذين سبقونا ورقدوا فى الايمان، ورقدوا على هذا الرجاء هم أكبر سند لنا فى جهادنا على الأرض.

من لى فى السماء...مزمور٧٣

الى جانب المناظر والاعلانات السماوية التى يختبرها الأبرار فى حال أنتقالهم والتى تكون بمثابة التعزية الأخيرة قبل أن يخلعوا الجسد الترابى، ويدخلوا الى الرؤيا والأستعلان... لأننا هنا نحيا بالايمان الذى هو الثقة بما يرجى والايقان بأمور لاترى... نقول ان هذه الاستعلانات تبدو كبداية للرؤيا وانقضاء أيام الايمان... اذ يكون الجسد الكثيف قد ابتدأ ينحل، مثل غلالة (ثوب) معتمة حاجبة للرؤيا، فان هى تفسخت وانحل نسيجها أمكن الرؤيا من خلالها الى أن يكمل انحلالها فتكمل الرؤيا ...أو كمثل ظلام الفجر تتخلله أشعة الشمس عند اشراقها فتتبدده الى أن يظهر النور كاملا.

هذا لايحدث للأبرار ... فرغم صعوبة خلع الجسد العتيق اذ لسنا نريد أن نخلعه بل نلبس فوقه مسكننا الذى من السماء، وهذه هى طبيعة وثمرة الحياة فى الجسد، أو قل هى كما يسميها العلماء غريزة حب البقاء وهى مزروعة فى طبيعتنا.

ولكن الغريزة الجديدة فى الأنسان الجديد والخليقة الجديدة تشتهى السماويات وترنو اليها بأشواق لاينطق بها كقول الرسول بولس "لى أشتهاء أن أنطلق وأكون مع المسيح ذاك أفضل جدا".

نقول أن هذه الاعلانات ووضوح الرؤيا السماوية ينشىء فى النفس ثقة بحبيبها وشجاعة لمواجهة الموت عجيبة حقا.

أعرف أختا فاضلة منذ أن كنت أخدم فى لوس أنجلوس فى أواخر السبعينات سنة ١٩٧٨ ... وهى زوجة تقية وأم لثلاثة أولاد قدموا الى لوس أنجلوس سنة ١٩٧٨ ... ثم أصيبت بمرض السرطان بعد قدومهم الى لوس أنجلوس بسنة واحدة أو يزيد وبدأت مشوار العلاج وجازت فى أوقات الام، وآلام ...امتد بها المشوار الى أكثر من ١٥ سنة وهى تتقلب بين الضعف والقوة، المرض والصحة ، الآلام والفرح ... ولكنها صارت لكل من عرفوها أيقونة جميلة للصبر الجميل والشكر الذى لاينقطع والشجاعة فى أيام الشدة.

كنت أزورها قبل رحيلها بشهور وكان الاطباء قد قرروا أن العلاج لم يعد ينفعها فى شىء، وكانت تربطنى بها فى المسيح دالة قوية ومحبة حقيقية، وكانت اذ تسمع كلمة الحياة تتمسك بها بشجاعة منقطعة النظير ورجاء لايخبو فى شخص المسيح.

على أن الشيطان عدو الخير لايترك هذه الفرصة الا لكى يغرس شكوكه ظانا أن النفس فى حال ضعفها، يستطيع أن ينفذ بسهامه اليها ولكن هيهات فالمتمسكون بالغالب يغلبون والمتحدون برب القيامة لايموتون.

وقد ذكرنى ذلك بما قرأت فى كتاب أقوال الآباء الشيوخ عن أحد الأباء أنه فى يوم أنتقاله وقد اجتمع حوله الأباء ليأخذوا منه البركة الأخيرة، حانت منه ألتفاتة فرأى الشيطان جالسا على شباك قلايته فصاح فى تلميذه قائلا:"اعطنى عصاتى لأنه أفتكر فى أننى ضعيف للموت..." فما أن ناوله تلميذه العكاز حتى فر الشيطان مزعورا ورآه سائر الآباء المجتمعين فمجدوا ا الذىيعطى نصرة لأولاده وقوة حتى فى ساعة موتهم..." انهم حقا غلبوا".

سألتنى هذه الأخت المباركة ونحن مجتمعون حولها قائلة:"قل لى الصدق فى المسيح لماذا يتألم أولاد ا ويجوزون الأمراض والأوجاع بينما أهل العالم يفرحون ويمرحون؟".

وهى فى الواقع كانت تسأل بلسان أولادها ومن هم حولها الذين كان الأمر يحيرهم، والشكوك تساورهم فأرادت أن يسمعوا كلمة لمنفعتهم...وهى تهدف أنهم حين يسمعونها من فم الكاهن وهم أولادى وأحبائى، يطمئنون الى حكمة ا ويثقون فى محبته... قلت لها وأنا أوجه الكلام للجميع:

أنا لاأجيبك على هذا الكلام من عندى ولكنى أحولك للكلمة الالهية المكتوبة التى تكشف فكر ا   من نحونا... وما أسهل أن يجيب الانجيل على تساؤلات الناس فلا يبقى للشك مجال ولا للمجرب حيلة.

طلبت الكتاب المقدس وأخرجت المزمور "٧٨" الذى يتكلم بتفاصيل مذهلة فى هذا الامر كاشفا النهاية من قصد ا ... فالمرنم كان متحيرا كيف أن أهل العالم يعيشون فى رغد العيش بينما أولاد ا   مجربين، لذلك قال:"لولا قليل لزلقت قدماى..." ثم قال:"الى أن دخلت مقادس العلى"، وتأمل آخرتهم... وجدهم الى البوار، كالحشيش الذى ينمو سريعا، بينما أولاد ا   حينما يدخلون الى المجد فى عاقبة المجازاة العادلة فانهم يتنعمون بما لم تره العين ولم تسمع به الاذن ولا خطر على بال الناس... لذلك أختتم المرنم حديثه قائلا:" صبرت كبهيم عندك وأنا بليد لاأفهم"، معترفا أن أحكام ا   أعلى من الفحص وطرقه أبعد من أن تستقصى... لذلك هتف قائلا:" من لى فى السماء ومعك لاأريد شيئا على الأرض..." قرأنا المزمور بهدوء ثم قبرأناه مرة ثانية، وثالثة، وتعزينا بكلماته، اذ مررنا عليها كلمة كلمة... فعلى ما أعطتنا النعمة فى ذلك المساء أخذنا زادا للحياة ومعونة فى التجار.

بعد أسبوعين أو ثلاثة أسابيع دخلت هذة الأخت فى مراحل أخيرة حسب رأى الأطباء، وقالوا أنها عدة أيام وتترك هذا العالم. وحسب العادة الجارية أرسلوا اليها فى البيت بعض الأخصائيين النفسانيين لكى يعدوها نفسيا لتقبل الموت... ولكنها فى لطف مسيحى وثقة وشجاعة قالت لهم:
"أنا غير خائفة من الغموت لأنى عارفة الى أين أنا ماضية... أشكركم على تعب محبتكم وأرجوكم ألا تأتوا مرة أخرى ، ربما أحد غيرى يحتاج اليكم، أما من جهتى فأنا لن أموت بعد أيام كما قال الأطباء. للأن حياتى فى يد مسيحى وهو الذى يحيى ويميت".

وفعلا لم تكن ثلاثة أيام كما قالوا بل مد الرب فى أيامها الى ثلاثة أسابيع... ثم أسلمت روحها بيد الرب فى سلام عجيب وهدوء سماوى.

ذهبت الى المنزل وقرأنا الانجيل وتعزينا بكلام الحياة الأبدية، وبعد يومين كانت الجنازة... وحول الصندوق بعد الصلاة وقف أولادها الثلاثة وفوجئت أنهم يقرأون المزمور "٧٨" علنا أمام جميع الحاضرين بالكنيسة، لقد حفظوه من كثرة تكراره لأنها كانت تجعلهم يقرأونه كل يوم عدة مرات.

الصلاة أفضل من الحياة

كانت عادة الجيل السابق علينا أنهم ينامون فى وقت مبكر من الليل ويستيقظون فى نصف الليل للصلاة، أو على الأقل باكرا جدا للصلاة والتسبيح... فقد افرز الليل منذ القيم للصلاة، فهدوء الليل يدفع النفس الى الصلاة والتسبيح... فالمسيحيون معتبرون أنهم الخليقة الجديدة للتسبيح والحمد من أجل نعمة المسيح يسوع.

والصلاة فى الصباح – وهو وقت قيامة المسيح – النور الحقيقى، ووقت أنكسار الظلام المادى هو وقت انكسار ظلمة الموت الحقيقى حيث أضاء الرب علينا وبدد ظلمتنا وكسر شوكة الموت بقيامته... وهو وقت الفرح بالقيامة والنور والحياة.

ما أبهجها ساعة يحياها المسيحى كل يوم منحازا الى النور ولابسا أسلحة النور ومحاربا الظلام... والظلام لا يدركه... وقد ساعد المؤمنين فى الجيل السابق على هذا السلوك التقوى أنه لم يكن هناك مجال للسهر الكثير، فلا كهرباء... ولا أماكن للسهر والحفلات ولاتليفزيون... ولاشىء من هذه الأشياء التى

استهلكت الوقت وحولت الذهن والقلب بعيدا عن حياة الصلاة وروح الصلاة، وشوشت الفكر بالخطايا وحركت الزنى والمجون والخلاعة... وأين روح الصلاة من كل هذا؟.

أسوق هنا بعض الأمثلة مكن أتقياء هذا الجيل الماضى الذين عاشوا محبين للصلاة ساهرين فيها بالشكر.

تعرفت فى نهاية الستينات من القرن الماضى وعلى وجه التحديد سنة ١٩٦٨ على عائلة تسكن فى منطقة الابراهيمية نزحت من المحلة منذ زمن... رجل مسن يعيش هو وزوجته فى شقة صغيرة... فقد تزوج أولادهم وتفرقوا كل واحد فى بلد بحسب ما قسم ا لهم... والرجل طيب بسيط يحيا فى وداعة وشيخوخة صالحة، وهو وزوجته من الذين ينطبق عليهما القول أنهما بارين خائفين ا يسلكان فى وصايا الرب وأحكامه بلا لوم...

وكنت اذ أزورهما أرى فيهما أيقونة جميلة للحياة المتقدمة فى النعمة وفى الأيام فى آن واحد.

ضعف الرجل واعتلت صحته ولكنه كان مواظبا على طقس الصلاة التى عاش بها مدى الحياة، فهو دائم الصلاة والتمتع بشخص المسيح الذى أحبه، محاطا بمعونة القديسين قريبا منهم جدا... يبدأ يومه بالقراءة... يستزيدها من عهد قديم وجديد،ثم يطالع بعض الأخبار فى "الأهرام" ولاسيما صفحة الوفيات التى كان يسميها سنكسار اليوم... ثم يتناول طعام الأفطار، ويكمل يومه فى أهتمامات قليلة، وفى أيام صحته كان يحضر لوازم المنزل ويستريح قليلا، ثم يصلى مزاميره فى العصر، ومع الغروب يتناول طعامه ويصلى... وقبل أن تصل الساعة الى الثامنة مساء يخلد الى النوم، وكان جيرانه يستأنسون به ويشعرون أنه رجل بركة. فكانوا دائمى السؤال عليه، ولكنهم عرفوا عنه أنه ينام مبكرا فلا يكونوا فى زيارته بعد الساعة الثامنة أو التاسعة على أكثر تقدير.

كان الرجل ينام أول الليل ثم يستيقظ فى نصف الليل...يغسل وجهه ويديه كعادة الاباء ثم ينتصب للصلاة مرددا مزامير نصف الليل وبعض المدائح والتماجيد كان قد حفظها عن ظهر قلب منذ أيام شبابه، سمعها من عم له كان مشهودا له بحياة البر والصلاح ومحبة الصلاة وقد عاش بتولا وكان مقدسا نفسا وجسدا، وقد سلمه عمه خدمة السهر والصلاة.

وكانت زوجته الفاضلة تشاركه الصلوات فى كثير من الأحيان. ولكن فى أحيان أخرى كان يغالبها التعب فتتابع الصلاة وهى على سريرها... فلما تقدم الرجل فى الأيام وكان يقوم كعادته فى نصف الليل، قالت له زوجته وهى مشفقة عليه: "ياأخى أنت غير قادر الان على هذا الأمر، لماذا لاتصلى وأنت راقد على سريرك؟ ربنا مش هايزعل"، وكانت تكرر عليه هذا الأمر كلما وجدته متثاقلا فى حركته، ولكنه كان يجيبها دائما بكلمات طيبة مطمئنة أن الصلاة هى التى تشفى الجسد المريض وتعزى القلوب والأرواح... فان كان جسدى مريضا فالصلاة تعضده وتقوية والرب يسوع قال:"أما الجسد فضعيف وأما الروح فنشيط".

وفى مرة وهو نازل فى نصف الليل من سريره أختل توازنه فسقط، فنهضت الزوجة منزعجة تقيمه وتبكته قائلة:"قلت لك ياأخى انك غير قادر... انت منتظر انك تموت وأنت بتعمل كده...؟" رد الرجل وهو مستند عليها قائلا:" ياأختى أنهى حياتى ساجدا لمخلصى وأنا أعلم أننى لست أهلا لذلك... ان الصلاة أفضل من أن أموت وأنا على سريرى".

تحامل الرجل وغسل يديه ووجهه، ووقف رافعا يديه رغم هزاله الشديد، وصلى، وصلى ثم سجد الى الأرض وهو يقول قدوس ا ... وطال سجوده... والزوجة تتابع الصلوات وهى على سريرها ولكنها راحت فى غفوة ربما الى دقائق معدودات، ثم فتحت عينيها أنه ساجد... مازال ساجدا... أرادت أن تناديه لتطمئن عليه ولكنها اختشت أن تقطع عليه الصلاة، فانتظرت قليلا ثم قالت فى نفسها لابد أنه غلبه النعاس، نادته فلم

يجبها...نزلت من على السرير واقتربت اليه توقظه، كان جسده فى حال السجود ولكن روحه حسبت مع الساجدين الحقيقيين الذين يسجدون بالروح والحق ، لأن ا طالب. مثل هؤلاء الساجدين...ذهلت السيدة الطيبة، لقد سمعت طلبته هكذا سريعا... حقا ان الصلاة أفضل من الحياة.

+ لم يكن هذا الأمر من التمسك بالصلاة والصوم غريبا على هذا الجيل بل لقد ضربوا أروع لأمثلة التى فاقت التصور، ففضلوا الموت مثلا على كسر الصوم، فكان اذا فاجأتهم الأمراض فى أيام الصوم، لايستطيع أحد أن يقنعهم أن يكسروا صومهم بل تمسكوا الى النفس الأخير وكانوا يفضلون أن يذهبوا الى المسيح صائمين عن أن يكسروا الصوم حتى بسبب المرض.

وحينما تسترجع روحى ذلك وتتوارد على خاطرى أمثلة تلك العينات التى شهدت للروح ضد الجسد في التمسك بالصلاة والصوم حتى النفس الأخير، أقول كلما تذكرت ذلك أشعر بمرارة وأسى الى الأحوال التى صرنا اليها من الاستهتار واللامبالاة وكسر الصوم واهمال الصلاة ليس بسبب الأمراض أو الشيخوخة بل بلا عذر وبلا سبب... لقد صارت قيمة الصلاة والصوم ضعيفة فى نظرنا، فنحن نهمل الصلاة ونتمنى أن نفلت من الصوم لأن مسرات الجسد وأعذار الجسد قد أضعفت من روح التمسك والتدقيق فى الحياة الروحية، مع أن الذين سلكوا بالتدقيق صاروا حكماء وافتدوا الوقت، وتاجروا فى هذا الزمن الميت وحولوه الى حياة أبدية.

ما أجمل قول الرب "كن أمينا الى الموت فسأعطيك اكليل الحياة"(رؤ٢: ١٠).

على أسم يسوع

فى صيف عام ١٩٦٨ كنت أزور بيت أحد أحبائى يدعى سمير الوزان، وهو من عائلة عريقة من أسوان، وتربطنى بهم علاقة محبة فى المسيح... كنا فى بيتهم فى شارع يلبغا بشبرا، نجتمع ونتعزى بكلام الكتب وسير القديسين ونصلى معا، وكان معى شاب طيب صديق العائلة.

وفيما نحن جالسون قال أحدهم:"تيتة موجودة بالداخل وتريد أ، تكون معنا فهل يوجد مانع؟،

قلت:"بكل تأكيد لا،ولماذا تجلس بمفردها بالداخل؟" قال الأخ:"هى مكسوفة وبطبعها خجولة جدا"

قلت:"مفيش أحد غريب...أنا كاهن والأخ أكرامخ هى تعرفه وأنتم... فلماذا الكسوف؟.

ذهب الأخ وأحضرها... سيدة متقدمة جدا فى أيامها. فوق الثمانين، ملفوفة بملابسها السوداء حسب عادة أهل زمنها، لايرى منها سوى جزء من وجهها... سلمت عليا باستيحاء شديد، قلت لها:"تفضلى أجلسى معنا..." ذهبت الى ركن الصالة وجلست على الأرض، وقلت لها:"ياأمى لايصح أن تجلسى على الأرض"، وأفسحت لها مكانا بجوارى على الكنبة... وحاول أحفادها أن يقنعوها أن تجلس الى جوارى ولم يمكنهم...وهى تقول:"ياولاد عيب..." كيف تجلس الى جوار الكاهن...!"ده شرف ما استاهلوش..." تعجبت جدا لهذا الاتضاع الحقيقى من سيدة فى عمر جدتى

فقلت لهم:"أتركوها وشأنها".

ثم أكملنا ما كنا نتحدث عنه فى الكتاب المقدس وهى تنصت بسكون، ثم اذ أردت أن أتباسط معها فى الحديث... قلت لها:" قولى لى ياأمى أنتم كنتم عايشين فى الصعيد بمفردكم؟" أجابت:

"لا، كنا عائلة كبيرة، الكبار والصغار فى بيت واحد، بيت العائلة..." قلت لها:" يعنى كنت عايشة مع حماتك..." قالت:"نعم..." قلت:"وسلفاتك فى نفس البيت؟" قالت:"نعم..." قلت وأنا ابتسم:

"يعنى لم تتشاجروا أبدا؟" امتعضت السيدة وهى تقول:" يا عيب الشوم... نتخانق! نتخانق كيف؟ واحنا كنا بنرابع التسبحة مع بعض واحنا على الرحى".

سألنى بعض الأولاد:"يعنى ايه الكلام ده؟" قلت لهم عن الرحى، وكيف أنهم كانوا يحفظون التسبحة فى البيوت عن ظهر قلب، وكانت السيدة وهن يعملن عمل اليدين دائمات التسبيح والصلاة... كانوا يعيشون مسيحيين بالحقيقة.

ثم وقفنا نصلى، فسألت أحد أحفادها قائلة:"هل ممكن أبونا يصلى على رأسى...؟" قلت وقد سمعتها..."بكل سرور..." قالت:"بس تأخذ..." قلت:"ماذا آخذ..." قالت :"فلوس..."قلت:"ياأمى الصلاة ليست بفلوس... ثم أننا فى عصر الكاهن يتقاضى فيه مرتبا..." فقالت:"أن لم تأخذ لاتصلى على". قلت:"صدقينى أنا غير محتاج..." قالت:"مين قال انك محتاج؟ خذ وأتصرف حسبما تشاء، مش عندك محتاجين...؟" قلت :"لامانع، آخذ على سبيل البركة". مدت يدها فى كيس صغير وأعطتنى... قال صديقى وهو شاب ظريف:"انت عاوزة تعطى وخلاص... انت ياتيتة بتوزعى فلوسك، طيب هاتى..." قالت له:" قول على أسم يسوع..." قال وهو يضحك:

"على أسم يسوع..." مدت السيدة يدها فى الكيس دون أن تنظر وأعطته فى يده... ضحك الحاضرون... وصليت لها على رأسها كما أرادت... ثم صلينا جميعا مزامير الغروب... وهممنا بالانصراف واذا الشاب يقول لها:"متشكر ياتيتة..." وأراد أن يعطيها ما أعطته من نقود... فردت عليه بجدية تقول:"ماذا ياأبنى؟ انت طلبت على أسم يسوع... وأنا أعطيتك ولايمكن ما أعطيته على أسم يسوع يرجع تانى..." وعبثا حاول الأخ أن يرجع اليها النقود... ودخلت السيدة الى حجرتها.

كان درسا لجميع الحاضرين فى بساطة الحياة المسيحية والاتضاع وحياة الصلاة والعطاء على أسم يسوع.

الموعظة على الجبل

كانت عادة سنوية للطلبة المسيحيين بكلية الهندسة جامعة الأسكندرية أن يعملوا حفلا سنويا فى كنيسة مارجرجس باسبورتنج يدعون اليه الأساتذة والمعيدين ويتخلل الحفل بعض المسابقات والاسكتشات البسيطة يشترك فيه الأساتذة والطلبة معا... ويقضون وقتا طيبا فى روح فرح ومرح

ثم يتكلم أبونا بيشوى كامل أو أحد الآباء كلمة روحية قوية توثق رباطات المحبة وتدفع الى حياة أفضل.

فى احتفال سنة ١٩٦٦ كنا مدعوين، عدد كبير من الأساتذة والمعيدين وكان يجلس الى جوارى أحد الأساتذة يدعى د.جورج... كانت معرفتى به قليلة، فهو يعمل فى قسم آخر، وكنا اذا تقابلنا نتبادل التحية فقط، فهو رجل هادىء الطبع وليس اجتماعيا وأصدقاؤه قليلون جدا.

فى وسط الحفل، نادوا أسم د.جورج لكى يشترك فى المسابقة... قام الرجل، وقد علت وجهه حمرة خفيفة فهو خجول بطبعه، وصعد الى المسرح، وبدأوا يسألون... أحدالطلبة يسأل وهو يجيب.

سؤال: كم عدد أسفار الكتاب المقدس؟...فأجاب الرجل قائلا:"ياأبنى أنا لاأعرف الا الصفر المطلق". وضجت الصالة بالضحك.

ثم سأله الطالب سؤالا آخر من العهد القديم. فقال الرجل:"ياأبنى ده سؤال تعجيز" ثم سؤال ثالث والرجل لايعرف.

ثم عزف طالب آخر قطعة من لحن كنسى سئل الدكتور جورج عن اللحن. فبنوع من الفكاهة أخرج الدكتور من جيبه جنيها وأعطاه للذى عزف اللحن وقال له:"ربنا يفتح عليك ياأبنى".

ضحك كل الحاضرين بشدة وصفقوا... متندرين بهذا الموقف، وكيف أن الأستاذ لايعرف هذا ولا ذاك ، وهنا أخذ الدكتور جورج الميكروفون وقال للحاضرين:"صدقونى أنا لاأعرف هذه الأسئلة فعلا، وهذا تقصير منى... ولكنى أصارحكم القول أننى لاأعرف سوى الموعظة على الجبل المدونة فى أنجيل متى اصحاح ٥،٦،٧... هذه أقرأها كل يوم وأحاول أن أعيشها وأنفذها على قدر استطاعتى..." هنا عصفت القاعة بالتصفيق ونزل الدكتور وعاد الى مكانه بجوارى.

لقد كبر الرجل فى عينى جدا، انه بقدر طاقته يجاهد ليحفظ وصايا المسيح ويحيا بحسبها.

حييت الرجل، وقلت له" بالحق ان المسيحية حياة وسلوك ويسعدنى أن تتوطد العلاقة بيننا..." وبعد سنه تقريبا رسمت كاهنا، فكان لى فرصة أكبر أن أتعرف عليه عن قرب، زرته فى منزله... اتضاع ووداعة مذهلة، وبساطة فى الحياة وحب حقيقى مستقر فى هذه العائلة الوديعة...

ولما أسترجعنا ما قيل فى الحفل وجدته بالحقيقة رجلا مسيحيا متسامحا، ففى مواقف ظلم فلم يتذمر، ان أعتدى عليه فهو صاحب الميل الثانى والخد الآخر يبذله بلا معاناة بل يفرح تابعا وصايا سيده... لقد حفرت كلمات الموعظة على الجبل، ونقشت على قلبه وفكره وتصرفاته، سواء فى العمل أو فى المنزل بل وفى جميع معاملاته مع الناس.

وقد أدركت فى الحقيقة أن المسيحية ليست محفوظات ومعلومات يحشو بها الانسان عقله ويدربق ملكات الذكاء عليها ولكن سر الحياة المسيحية يكمن فى حب المسيح وحفظ وصاياه ليس بالكلام واللسان ولكن بالعمل والحق.

عيد النيروز

فى ليلة عيد النيروز ١٠ سبتمبر عام ١٩٧٦، كانت كنيستنا فى أسبورتنج مكتظة بزحام شديد، لأننا كنا نركز أهتمام شعبنا بالاحتفال بهذا العيد، ليس فقط لأنه عيد قومى للأقباط وبداية التقويم الذى يرجع فى الأصل الى السنة المصرية القديمة، بل بلأكثر على أساس أن الأقباط اختاروا سنة ٢٨٣م وهى السنة التى اعتلى فيها "دقلديانوس" أكبر مضهدى المسيحية عرش روما... وهذا يؤكد فخر الأقباط بالشهادة للمسيح، فقد قدمت كنيستنا للمسيح أفضل ما عندها من نفوس شهداء أبرار كانت لكل نفس منهم قصة حب فريدة للمسيح.

فقد يجمع سير الشهداء وقصصهم اطار واحد وتبدوقصص شهادتهم كأنها قصة متكررة، ولكن الواقع أن لكل واحد من الشهداء طعما خاصا ورائحة زكية مميزة جدا... وكنا نؤكد لشعبنا أن كنيستنا هى بالحق أم الشهداء، وأ، كل قبطى هو قريب بالجسد لشهيد أو لأكثر من شهيد. ولو رجع الواحد بالزمن لوجد أن فى عائلته شهيدا وأكثر من شهيد... فدم الشهيد بكل تأكيد يجرى فى عروق كل قبطى.

وكان من عادة أبونا بيشوى فى عشية النيروز أن يجمع ما أستطاع من أيقونات الشهداء وندور بها الكنيسة بعد "افنوتى ناى نان" ويرفع بخورا كثيرا أمام أيقونات الشهداء، وهو يمشى يكاد يقفزمن الفرح الروحى الذى كان يفيض من قلبه على شعبه فيتهلل الجميع بفرح لاينطق به.

فى أثناء العشية والتسابيح صاعدة الى عنان السماء... واذا بوابل من الطوب يرشق مبنى الكنيسة، لقد ضاق الشيطان بهذه الروح المتجددة التى للشهداء الذين غلبوه، وعاد يصر بأسنانه فى أعوانه كما فى أيام

اسطفانوس والرجم بالحجارة، فملأ قلب بعض أعوانه بالحقد والغيظ فوقفوا على جسر الترام المقابل للكنيسة وراحوا يرجمون المبنى بالطوب.

أصابت هذه القذائف بعض نوافذ الكنيسة الزجاجية فتطاير الزجاج مثل شظايا النار، وفجأة صرخت احدى السيدات لقد جاءت طوبة فى نظارتها فتهشم زجاج النظارة ودخل فى عينها، ونزفت عينها ووجهها دما غزيرا.

جرى عمال الكنيسة وبعض الشبان وقفزوا الى جسر الترام ولكن قاذفى الحجارة كانوا قد ولوا هاربين... نزلت من الكنيسة مسرعا... اتصلت بالمسئولين الذين هبوا مسرعين وجاءوا على عجل الى الكنيسة متأسفين لمثل هذه الأعمال الخزية.

جرى أبونا بيشوى كامل نحو السيدة"لندا" التى أصيبت يحاول أن يضمد شيئا... نزيف الدم من العين ومن كل وجهها... ولكن العجيب فى الأمر أن السيدة كانت تصرخ بالشكر رغم الألم وتقول" الحمد يا أبونا ده أنجيل كانت جانبى... الحمد أنها لم تصب أنجيل، ونشكر ا أنها لم تصب أحدى الفتيات الصغيرات... أنا امرأة كبيرة ومش مهم عينى... دى بركة عيد النيروز لى... أنا فرحانة..." وكل الذين حول أبونا بيشوى كانوا يتعجبون من هذه الروح وهذا الكلام.

أسرع أبونا بيشوى وحمل السيدة فى سيارته مسرعا الى طبيب عيون... دكتور ماهر ميخائيل وهو أحد أحبائنا الأقربين... رفع الدكتور الضمادات الموضوعة على العين... مازالت نزيف الدم وشظايا الزجاج متناثرة فى العين... قال لأبونا:"أنا أستطيع أن أفعل شيئا الأن..."أعطاها مسكنا وشيئا يساعد على وقف النزف... وقال:"تأتينى غدا ونكشف على العين".

عاد أبونا بيشوى بالسيدة الى الكنيسة... حيث كنا مع المسئولين الذين تعاطفوا معنا جدا ولاسيما لما رأوا اصابة السيدة.

كانت هذه السيدة من المحبوبين لدى أبونا بيشوى جدا بسبب طيبة قلبها ومحبتها الخالصة للمسيح وكان يقول:" لندا ستدخل الملكوت حدف.؟ الملائكة أول ما يشوفوها يرموها فى الملكوت بلا كلام".

أصرت هذه السيدة أن تسهر معنا فى سهرة عيد النيروز التى كنا نصلى فيها المزامير والتسابيح حتى تنتهى السهرة بقداس النيروز... حاولنا أن نثنيها عن عزمها وأنها تحتاج الى الراحة بالمنزل... ولكن عبثا راحت محاولاتنا... سهرت تشترك فى المزامير والتسابيح حتى الصباح... ثم تناولت من الأسرار وعادت الى بيتها.

فى الغروب ذهبنا مع السيدة، أبونا بيشوى وأنا الى الدكتور ماهر. رفع العصتابة من على عينها، وهنا كانت المفاجأة التى أذهلتنا جميعا وعقدت ألسنتنا عن الكلام... العين سليمة تماما لاآثار لخدش أو جرح... ولاشظايا زجاج فى العين ولا آثار لشىء.

كم مجدنا المسيح وطفرنا بالتسابيح... لقد عادت عينها صحيحة كالأخرى، اختبر الدكتور رؤية العين... سليمة تماما.

المجد لك يتارب من أجل أعمالك. مبارك أنت ومتعجب منك بالمجد فى جميع قديسيك.

اشفعوا فينا أيها الشهداء القديسون وآزروا ايماننا الى النفس الأخير.

ليس بكيل يعطى ا الروح

فى عشية أحد الأيام منذ حوالى ٨ سنوات خرجت للإفتقاد فى منطقة بجوار الكنيسة التى أخدم فيها فى (تورانس) " Torrance..." منطقة جبلية ملاصقة للمحيط ... مثل هذه المناطق تتمتع بالهدوء الشديد ، فهى مناطق لا تضاء شوارعها ليلا لكى تحتفظ بهذا الهدوء الريفى . عائلة د. مجدى تسكن هذه المنطقة . هو وزوجته ووالديه ... منزل أدخله لأول مرة ، تعرفت عليهم ... هو أصلا من حى محرم بك بالإسكندرية ، و يعرف أبونا بيشوى كامل أيام كان خادما فى كنيسة السيدة العذراء بمحرم بك . الزوجة سيدة طيبة هادئة تبدو الوادعة فى ملامحها ، جلسنا ... فتحنا الإنجيل ... كانت معرفتهم بسيطة جدا ، بسبب غربتهم لسنوات طويلة بين كندا و ولايات أمريكا، وفى معظم الأحيان لم تكن حولهم كنيسة قريبة منهم ، إلى جانب المشغوليات الكثيرة وزحمة الحياة ومتطلبات المجتمع ... على كل حال قرأنا وتطرقنا فى الحديث إلى فهم الإنجيل والتمتع به والحياة فيه ... وقرأنا كيف أن حزقيال النبى أكل الكلمة الإلهية أكلا حقيقيا فصارت فى فمه كالعسل حلاوة ... وقلت لهم أننا نفسر الإنجيل فى عشية كل يوم سبت ، فقبلوا الكلام بفرح ... وبدأوا يواظبون على الحضور على قدر ما سمحت به ظروفهم .

كانت الأخت ماجدة كأرض عطشى، فما أن وردت المياة حتى اندفعت بكل قوة وإخلاص تنهل من ماء الحياة... ففى حياة الصلاة التى وجدتها فى المزامير صارت لذتها وفرحها، تدوم فيها الى أوقات ليلا ونهارا.

وفى مائدة الافخارستيا، وجدت المراعى الخضراء وماء الراحة فكانت القداسات والتناول من الأسرار شبع نفسها وكأس فرحها وتعزيتها... وقد انفتح لها باب عظيم فى الكتاب المقدس، فكان أن عكفت تقرأه بانفتاح بصيرة عجيب، وحب ووعى وادراك نادر المثال.

ثم عرجت على الكتب الروحية تطلبها باجتهاد وتقرأ وتستزيد، كانت قامتها تنمو نموا مضطردا... سمعت أنه توجد كلية اكليريكية، فجاءت تسألنى يوما:"ما هى الاكليريكية؟"، قلت لها:"انها كلية العلوم الروحية والدراسات الكنسية..." قالت:"هل ممكن أن التحق بها؟" قلت لها:

"ممكن جدا... التحقت بالاكليريكية بطريقة جدية، كانت كتلميذة مواظبة وأمينة، وكانت كلما تمتعت بشىء من المعرفة الروحية تشرك زوجها فى الخيرات، بكل وسيلة وفى كل مناسبة.

كان زوجها سعيدا بها أيما سعادة، وكان يقول دائما:"ان ماجدة التى لم تكن لها معرفة بشىء قد صارت مملوءة نعم وفضائل، بل هى قادرة بنعمة ا أن تعلم الكثيرين..." بل قد صارت فى وقت قليل جدا كأنها قضت سنوات وسنوات... وفى الحقيقة ان ما حصلته فى سنوات قليلة كان كثيرا جدا.

وفجأة بلا مقدمات... شعرت ببعض الأعراض... ثم الفحوصات ثم اكتشاف سرطان فى المثانة...ثم العمليات ورحلة العلاجات المميتة... والأتعاب والآلام القاسية... دوامة عجيبة جاءت مباغية بدون تمهيد.

ولكن فى كل هذا كانت حياتهم فى المسيح تزداد اشراقا، وقد طبعت النعمة على وجهها الملائكى ملامح القديسين... الشكر لم تكن تكف عنه نهارا وليلا... الاحتمال وعدم الشكوى أوالتذمر كان يذهل من حولها.

التصقت بها احدى السيدات التقيات من منطقة بعيدة عنا لكنها أظهرت نحوها اهتماما منقطع النظير، فتركت منزلها معظم الوقت والتصقت بها لاسيما فى أيام وجودها بالمستشفى وكانت تقضيان كل الوقت فى الصلاة والقراءة المقدسة، وحتى الصمت كان لحساب المسيح.

وشهدت هذه الأخت المباركة لما سمحت لها مرة أن ترى ما يؤلمها... شهدت قائلة:"فى حياتى لم أر مثل هذه البشاعة من المرض ولا رأيت مثل هذا الاحتمال".

كانت ماجدة دائمة الابتسامة قليلة الكلام لم يسمع منها أحد كلمة توجع، حتى آخر نسمة فى حياتها... كان سرها مع المسيح عجيبا. لقد ساقتها النعمة الى معرفة عميقة بالمسيح ولكن فى زمن قليل. وكانت تؤمن أن ما خفى عنها هنا من أسرار سوف تراه هناك بالعيان...كنت أزورها وفى كل مرة كنت أكتشف فيها عجبا... حقا "عجيب هو ا فى قديسي"، ومعاملات ا مع النفوس المختارة...من يستطيع أن يسير غورها؟.

قبل نياحتها بيوم واحد كنت عندها فى المستشفى... قالت لى:"وصيتك الأخت فلانة..." وفلانة هذة لها مشكلة عائلية صعبة... زوجها صاحب عقلية مختلفة، وطبعه حاد وعبثا لم تفلح المحاولات من كثيرين فى تغيير حياته... قلت لها:"أنت عارفة كل شىء فالطباع مختلفة، وهل الطبع يتغير؟..." قالت نعم يتغير..." قلت لها:"كيف؟..." قالت بعد أن أغمضت عينيها لثوان:

"نعم...النعمة...النعمة..." فقلت فى نفسى وقد تأثرت جدا "لقد عرفت الطريق تماما... ان النعمة قادرة على كل شىء..." فقلت لها مبتسما:"أوعدك أن أهتم بهذا الأمر فماذا تعطينى؟..." قالت بجدية عجيبة وقد أشرق وجهها بنعمة "أوعدك أننى سأصلى لك هناك فى السماء". قلت:"اتفقنا" وصليت لها وانصرفت.

وأشعر أنها تسندنى بصلواتها هناك كما وعدت، وأنا متأكد أن النفوس المختارة لها عند المسيح دالة... وأى دالة.

١١ يناير

كان أبونا بيشوى كامل نيح ا نفسه يعمل مدرسا فى مدرسة الرمل الثانوية بعد أن تخرج فى كلية العلوم سنة ١٩٥١... وكان سنة آنذاك قريبا من سن معظم التلاميذ... فصار قريبا جدا منهم وأحبوه حبا شديدا وتعلقوا به واحترموه لكثرة علمه وأدبه وسلوكه، اذ كان شخصية متكاملة حكيمة رغم صغر سنه.

وصار تلاميذه فيما بعد يفتخرون أنهم يوما ما، كانوا من بين من درسهم. ورأوا فى سلوكه النادر القدوة والمثل لكمال الحياة ولاسيما أبناؤه من المسيحيين الذين اعتزوا جدا بهذا النصيب.

كان من ضمن تلاميذ أبونا بيشوى أخوان هما الأن أستاذ التحاليل بكلية الطب جامعة الاسكندرية، وكان والدهما الدكتور موريس ميخائيل، نيح ا نفسه رجلا مسيحيا طيبا، وكان يحب "أبونا بيشوى" حبا خالصا نادر الوجود... وكنا بين الحين والحين نزور منزل الدكتور موريس نتعزى بكلمة ا والصلاة.

وفى احدى هذه الزيارات وكنا فى أواخر شهر ديسمبر، وكانت العائلة مجتمعة سيدات ورجالا... أقارب وأحباء... وكان من بين الحاضرين شقيق الدكتور موريس، وهو بحار يحيا معظم أيام السنة مسافرا فى البحر ومتنقلا بين بلاد الدنيا... وكان رجلا هادئا... قليل الكلام... وهو فى الخمسينات من عمره ويحيا بمفرده، لم يتزوج.

كان الرجل جالسا صامتا متجهما... قال له أبونا بيشوى وهو يعرفه جيدا:"مالك يافلان؟" قال الرجل:"أشكر ا   ياأبونا..." فقالت احدى بنات الدكتور موريس:"أقول لكم ياآبائى ما هى مشكلة عمو..." قلت لها ضاحكا:" يابنى الرجل يعيش بمفرده وحيدا مع ا   وليس له مشاكل..." قالت:

"عمى عنده اعتقاد ـ لاأعرف مصدره ـ أنه سيموت فى يوم ١١ يناير... ففى كل سنة فى أواخر ديسمبر يبدو مهموما ساكتا، وقد يمرض... حتى متى جاز يوم ١١ يناير يقوم معافى... صحيحا مقبلا على الحياة... طبيعيا فى كل شىء.

قال أبونا بيشوى:"وهو عمك اشتكى لك؟..." قال أبونا:"نحن نحيا للمسيح... ليس أحد منا يعيش لذاته ولا أحد يموت لذاته، ان عشنا للرب نعيش وان متنا للرب نموت، ان عشنا أو متنا فللرب نحن".

وحول أبونا دفة الكلام كلها من موضوع شخصى الى موضوع يخص كل واحد منا من جهة حياتنا وغربتنا على الأرض ومن جهة أنها لاتتعدى أياما مهما طالت، وكم أوصانا المسيح بالصلاة والسهر والحرص...لكى يحفظ الانسان نفسه فى الايمان والقداسة والمحبة، حتى يكون مستعدا كقول يوحنا الرسول"أيها الأولاد اثبتوا فيه حتى متى أظهر يكون لنا ثقة ولا نخجل منه فى مجيئه..." وهكذا أكملنا زيارتنا... وصلينا، وانصرفنا.

ولما ركبنا السيارة قلت لأبينا بيشوى وقد تملكنى العجيب مما سمعت... قلت له:" ما صحة هذا الكلام أو هذا الشعور أو كما قالوا هذا الاعتقاد؟" أجابنى أبونا:" توجد أسرار كثيرة لايعرفها أحد..."قلت:" معنى هذا أن الكلام صحيح..." قال:" صدقنى ان أسرار النفس مع المسيح أعلى من فكرنا ومن ادراكنا... ان كثرة قضاء أوقات اختلاء فى البرية أو فى البحر يقود النفس الى التأمل ولاتجد أمامها الا المسيح... فيصل الانسان الى حقيقة نفسه بلا رتوش ويدخل مع المسيح فى علاقة حب وصدق، فتكشف له الأسرار..." قلت له:" اذن، انت مصدق هذا الكلام؟..." قال: "ولم أكذبه؟... هب أن للرجل علاقة مع ا   ... فماذا يضير الناس؟ ولماذا الفضول من الناس؟..." انتهى حديثنا اذ كنا ذاهبين لنكمل الزيارات والخدمة... وهكذا مضت الأيام ونسيت الأمر.

عدت أزور بيت الدكتور موريس... وسألت عن العم، قالوا:"هو بخير لقد عبر يوم ١١ يناير" وبعد سنوات لاأعرف عددها، جاءتنى بنت الدكتور موريس... وهى تبكى... قلت:"ماذا؟" قالت:

"متى؟..." قالت:"يوم ١١ يناير؟".

عدت بذاكرتى الى ذلك اليوم المعهود وتلك الزيارة وكلمات أبونا بيشوى... وتعجبت ورددت الكلمات فى ذهنى... ما أعجب أسرار النفس البشرية حين تجد المسيح، وترتبط به وتعرف نفسها فتعرف المكنونات.

طيف ملائكى

فى أوائل أغسطس سنة ١٩٨٩ بدأنا بنعمة المسيح فى تأسيس الكنيسة التى على اسمى الشهيد العظيم أبى سيفين والقديس أنبا ابرآم أسقف الفيوم فى تورانس ـ كاليفورنيا.

لم يكن لنا مكان للصلاة... وكنا نصلى قداس كل أسبوعين فى يوم السبت فى كنيسة يونانية... ثم اذ كانت هناك كنيسة بروتستانتية معروضة للبيع ولم يشترها الأقباط، اشتراها رجل أعمال باكستانى بغرض تحويلها الى مركز اسلامى... واذ وجدنا ضرورة وجود مكان مؤقت استأجرنا هذه الكنيسة من الرجل، كان

ذلك يوم عيد السيدة العذراء ٢٢ أغسطس ١٩٨٩... وصرنا نصلى عشية السبت وقداس الأحد فى هذا المكان... وقد أراد الرب أن نشترى هذه الكنيسة بعد عدة شهور.

كان عقد الايجار يسمح لنا باستخدام الكنيسة عشية السبت لمدة ثلاث ساعات وصباح الأحد لمدة ثلاث ساعات على أننا كنا نصلى أيام الأربعاء والجمعة، والمناسبات مثل عيد الميلاد وعيد الغطاس... اذ كان الرجل الباكستانى قد أجر المنزل الملاصق للكنيسة لرجل أميركى... وأوكل اليه ادارة المكان، فكان يؤجر بعض الغرف الملحقة بالكنيسة وبعض المكاتب، وكان يسمح لنا أن نصلى فى الأوقات الأخرى التى نحتاجها فشكرنا ا على ذلك أنه يسر لنا الأمر.

الأخوة المهتمون بالعمل كانوا مباركين محبين غيورين، رغم معرفتهم القليلة بتدبير الكنيسة من جهة الطقس أو الحياة الروحية والأسرار أو الألحان، ولكنهم كانوا يتوقون للمعرفة واستعدادهم طيب وهذا شجعنا جدا.

فى البداية عملنا فصلا للكبار لحفظ الألحان... التعليم للكبار صعب ولكنهم كانوا يجاهدون بعد أن يعودوا من أشغالهم مرهقين... كانوا يأتون الى المنزل الذى أسكن فيه والذى كنا نعمل فيه كل اجتماعاتنا وكل المقابلات اذ لم يكن يسمح لنا أن نبقى فى الكنيسة بعد صلاة القداس.

كان الأخوة الراغبون تعلم الألحان يأتون مرة أو مرتين كل أسبوع وكان ابنى أرسانى يبذل معهم جهدا كبيرا لاستيعاب الألحان الصغيرة ومردات القداس، ولكنه فيما بعد استلم الأطفال الصغار وهؤلاء شبوا فى جو الكنيسة وحفظوا الحان الكنيسة كلها وسلمهم حتى الألحان التى تقال مرة واحدة كل سنة.

وكان من ضمن فصل الرجال شخص متميز، فى مواظبته وجديته، انسان هادىء الطبع ملائكى، وديع جدا يكاد يكون كلامه همسا أكثر منه صوتا مسموعا... وكانت ملامحه مريحة لكل من يراه.

كثيرا ما جلس الى فى هدوء... يسأل بشغف ولا سيما بعد أن يسمع تفسير انجيل العشية أو القداس، يود أن يستزيد وأن يستغنى، وأن يشبع رغبته فى المعرفة الروحية... شىء ملفت، كان كمثل العطشان... وفى وداعته كان يقبل بفرح كلمة الانجيل للحياة والممارسة.

فى أواخر أكتوبر سنة ١٩٨٩ زار البابا شنودة لوس أنجلوس للمرة الثانية... كانت المرة الأولى ١٩٧٧، وهذه المرة الثانية كانت بعد أحداث سنة ١٩٨١ والتحفظ ووجود البابا فى الدير لمدة تزيد على ثلاث سنوات... لذلك كان حضوره الى لوس انجلوس سبب فرح لشعبه وكان استقباله حافلا، وكانت الكنائس التى يزورها لاتسع الشعب من الزحام... صلى يوم الأحد ٣٠ أكتوبر فى كنيسة مار مرقس الرسول، ونحن اذ لم يكن لنا كنيسة ذهبنا وشعبنا الى كنيسة مارمرقس.

كان يوما بهيجا... صلى فيه البابا ووعظ ورقى بعض الآباء الى رتبة القمصية، وسام شمامسة وعمد أطفالا فى جو ملىء بالبهجة والسرور... فى ذلك اليوم وجدت هذا الأخ أمامى يقف كالملاك... قدمته للبابا ضمن صفوف المتقدمين، وسألنى البابا عن اسمه، وسامه أغنسطسا..

ساعتها رأيت وجهه وقد جرت عليه دموع اتضاع وشعور بعدم الاستحقاق مع حمرة خجل وهيبة الموقف... كانت أول مرة يرى فيها البابا.

ظل يواظب على اجتماع لدرس الكتاب كنا نعمله فى البيت لمن هم فى سن الشباب، وكانوا قليلين ومبتدئين، ولكن كان يلذ له أن يوجد بينهم بينما هو رجل فى الثلاثينات من عمره وهو مهندس متزوج وله ابنة عمرها ٦ سنوات... ثم اذ ينصرف الجميع يستأذن يبقى هو فكنا نفرح بوجود بيننا.

فى ١٨ يناير عام ١٩٩٠ فى الساعة السابعة مساء ذهبنا الى الكنيسة لنصلى قداس عيد الظهور الالهى ـ اللقان وباكر والقداس الالهى.

كان كل شىء بدائيا، أفراد قليلون حضروا معنا فى البداية. صلينا اللقان... كنا أفراد معدودين، قلت فى نفسى أنه يوم من أيام الأسبوع ليس سبت ولاأحد، والناس فى أشغالهم واليوم التالى أيضا يذهبون الى أشغالهم، ولم يتعودوا بعد... صلينا باكر ولم يزد العدد كثيرا حتى بدء القداس... لم يكن شمامسة سوى أربعة أشخاص، المردات الخارجية والألحان ليس فيها مشكلة، فأرسانى يقود التسبيح فى الكنيسة منذ أن كان طفلا ابن عشر سنوات، حين كنا فى مارمرقس بلوس أنجلوس سنة ١٩٧٧... ولكن من يتولى مردات الهيكل ونحن نصلى قداس عيد؟ ولكن فى مثل هذه الظروف المهم هو الصلاة والتمتع بالنعمة الذخرة فى عماد مخلصنا... وهى بداية وكمثل بذرة صغيرة ستنمو بنعمة المسيح.

أشرت الى أحد الشمامسة أن يدخل ليخدم ثم أشرت الى هذا الأخ وهو لابس التونية، وقلت له:" اخدم داخل الهيكل..." اعتذر بهدوء قائلا:"أنا لاأعرف". قلت له:"احنا هانصلى مع بعض مش مهم المعرفة..." قال:" أنا عمرى ما دخلت الهيكل..." قلت:"معلهش..." حاول أن يعتذر... قلت له:"أنت ترى أننا قليلون، وليس أمامنا خيار، المهم أننا نصلى ونرفع الذبيحة ونرفع قلوبنا الى ا ، ليس المهم اتقان الألحان بقدر الصلاة بالروح، والقلب المتواضع لايرذله ا ".

قدمنا الحمل وصلينا صلاة الشكر ورفعنا البخور. وبدأوا يقرأون الرسائل... وفى أثناء القراءة، جاء الي على حدة وقال:"كيف لى أن أخدم المذبح المقدس وأنا لاأعرف شيئا، هذا شىء أكبر منى وأنا لاأستحق..." قلت له:"صدقنى ليس فينا من يستحق أن يقترب، ولكنها نعمة المسيح ونحن لانتقدم لا لاستحقاق بل للاحتياج..." قال:" دعنى اذن اعترف بخطاياى وعدم استحقاقى.."

ثم تكلم فى أذنى بكلمات أتضاع وانسحاق نادرة. شعرت بخجل وصغرت نفسى فى داخلى، اذ شعرت أن كثيرين من البسطاء يغتصبون الملكوت بلا عيب كقول القديس الأنبا انطونيوس.

صلى أرسانى الألحان الطويلة حتى انجيل القداس، كانت الساعة قد جاوزت العاشرة، وبعد أن وعظت عظة قصيرة فى عشر دقائق وبدأنا القداس، وجدت نفسى أصلى القداس بسرعة على غير عادتى وأشرت الى أرسانى ألا يقول الحانا طويلة فى القداس... لست أدرى لماذا؟... لماذا انتابنى هذا الشعور؟... فى أثناء التناول وجدت أن الذين تقربوا من الرجال يعدون على الأصابع وهكذا السيدات... فناولت الشمامسة مرة، ومرتين، الى سبع مرات... وصرفنا ملاك الذبيحة، وصرفنا الشعب... وشكرنا السيد المسيح على نعمته التى لايعبر عنها... ومضى كل واحد الى بيته.

كان هذا الأخ هو الوحيد من أسرته الذى حضر... زوجته كانت قد جاءت من العمل متعبة... وطفلته الصغيرة قد نامت ووالدته التى كانت تسكن معه، خشيت على نفسها من برد الليل... فحضر الى العيد منفردا.

ركب سيارته ورجع الى بيته... كان الوقت نصف الليل... أيقظهم وأعطاهم لقمة البركة... سألته زوجته أن تجهز له طعاما... قال:"لامانع..." واستلقى على سريره ريثما تجهز.

ذهبت الى دقائق وعادت اليه واذ هو قد انطلق الى السماء... لم يذق بعد طعاما من الأرض، اذ كان قد تزود بخبز السماء حتى الشبع... شىء مذهل... انطلق كطيف ملائكى وما بين خدمته الأولى للمذبح وبين خدمته الأبدية لم يكن وقت ولا زمن.

ياسيدى الرب ما هذا التدبير الفائق، وهل هكذا يكون المختارون؟.

بعد أيام جاءتنى زوجته وهى شابة تقية كانت من بنات مارمرقس فى لوس أنجلوس حين كنت أخدم هناك سنة ١٩٧٧... جاءتنى تقول:"قبل انتقاله بثلاثة أيام دخلت الى حجرته وكان يكتب خطابا، فلما رآنى ارتبك... سألته: ماذا؟... قال: لاشىء... حاولت أن أعرف منه فلم يعرفنى

واليوم وجدت الخطاب الذى كان يكتبه فى جيب بدلته... وأعطتنى الورقة التى كان يكتبها ولم يكملها، انها خطاب للعذراء القيسة مريم.

وها أنا أسجل بالحرف الواحد صورة هذا الخطاب.

باسم الأب والابن والروح القدس

الاله الواحد آمين.

لوس أنجلوس فى ١٩٩٠/١/١٥

أم البشرية ـ الأم الحنون ـ سيدة الطهر والنقاوة ـ شورية هارون العليقة التى رآها موسى ـ فلك نوح ـ الحمامة الحسنة ـ أم النور حواء العهد الجديد ـ حاملة جمر الاهوت ـ خلاص الكنائس ـ تابوت العهد...

اليك ياسيدتى أكتب لك هذه الرسالة مستنجدا ومستشفعا أمام سيدى ومخلصى وحبيبى ابنك رب الأرباب، وملك الملوك يسوع المسيح، لقد طال انتظارى منذ سنة ١٩٦٨ وأنا مريض منذ أكثر من عشرين عاما وأنا منتظر لمسة منك...

قد طالت فترة الألم وأنا على رجاء مجيئك لى لكى تمنحنى قوة وعافية وشفاء... كثرت أمراضى، وكثرت أوجاعى فالى أين أذهب وأنت عندك شفائى.

لقد منحتنى الكثير، الألوف بل الملايين نعمة الشفاء أمراض مستعصية كثيرة. فكما فعلتى مع هؤلاء اسألى ابنك أن يصنع معى رحمة، واشكريه أيضا من أجل كل خيراته ونعمه.

أريد أن أشكره من أجل النعمة الظاهرة فقط بل نعمة التى تظهر بداخلنا ولم يراها أحد، بل انى أشعر بها فقط بشفاعتك ياأم النور، اشفعى، وخلصى نفسى يا ..." ولم يكمل بعد ذلك.

تعجبت وأنا أقرأ هذه الورقة التى كتبها قبل انطلاقه بثلاثة أيام وأوصى فيها العذراء القديسة أن تشكر المسيح من أجل النعمة الخفية التى يحيا فيها ويشعر بها ولا يراها أحد... انها سر المسيح وعمل نعمته.

طويت الورقة وجعلتها فى جيبى... فى أجندة صغيرة... الى هذا اليوم، ومنذ يومين كنت أبحث عن ورقة فى هذه الأجندة القديمة، فوجدت هذا الخطاب فقمت للوقت وكتبت هذه السطور لعلها تكون سبب تعزية لمن يقرأها.

آمن فقط

عائلة البرنشاوى، عائلة عاشت فى الفيوم فى زمان القديس الأنبا ابرآم، وفى الستينات كان بعض منهم يسكن فى منطقة كنيستنا باسبورتنج وكنت أزورهم، وقد استمعت من كبار السن فيهم الى أعاجيب عاشوها مع الأنبا ابرام، اذ كان لم يمض على نياحته سوى بضع وخمسين عاما، وكانوا هم وقت نياحته فى الشباب المبكر. وقد طبعت صورة الحياة مع الأنباء ابرام ملامحها عليهم جميعا، بل قل أن ذلك الجيل كان يتحلى بالفضائل المسيحية والأصول والسلوكيات الحميدة.

فكان الجيل كله محافظا وخوف ا كان من ملامح الجيل فى عمومياته... أما الخصوصيات من جهة أولاد ا فقد ذخر هذا الجيل بما لايعد من الكثرة من الأبرار والأتقياء.

وكان أحد أفراد هذه الأسرة، د.تادرس البرنشاوى فى أواخر الخمسينات من عمره وكان أعمامه قد آثروه بما قصوا من جميل الوقائع التى عايشوها، وهى تشهد لصدق الحياة مع ا وجمال النسك والطهارة وحياة الصلاة كما رأوها فى الممارسةاليومية للقديس الذى عاصروه، ناهيك عن الاتضاع وحب الفقراء بل وحياة الفقر التى عاشها بينهم ورأوها مجسمة حقيقة.

وكانت زوجة الدكتور تادرس سيدة قديسة بالحق... هادئة تحياها ومخافة ا ... وكنت أشعر ببركة كبيرة وأنا أزور هذه الأسرة اذ أرى فيها نموذجا لما ينبغى أن تكون عليه الأسرة المسيحية، فالأم التى تقتنى هذه الفضائل قادرة بنعمة المسيح أن تربى أولادها كثمرة حية لبذرة الحياة المسيحية وزرع ا الذى لايفنى.

لم أسمع يوما عن هذه البارة أنها غضبت أو تعكر صفوها... ففى وداعتها تمتص كل ملمات الحياة وتحويلها الى صلاة... الصلاة وسيلتها والصلاة حياتها.

كانت عادة هذه البارة أن تطلب أن أصلى لهم قنديل من فترة لأخرى لاسيما اذا كان أحد أفراد الأسرة مريضا... أو أنها كانت تمر بظروف من ظروف الحياة التى تأتى غير مواتية وكأنها الريح المضادة.

طلبت الى أن أعمل لهم قنديلا... وأعطيتهم ميعاد فى الساعة السابعة صباحا... كنت يومها أعمل قنديل فى بيت آخرقبل هذا الميعاد... ولأمر خارج عن ارادتى طرقت بابهم متأخرا نصف ساعة. قابلونى كعادتهم بحبهم الذى أعتز به وأفرح أن أراه فيهم... وجلست أهيىء الشورية وفتائل القنديل، وكنا نتحدث أثناء ذلك بكلام روحى... الجو كله يشع فى النفس رائحة المسيح... لم أكن متعجلا... صلينا القنديل ورشمتهم بالزيت المقدس... لاحظت وأنا أرش المنزل بالماء أن الدكتور تادرس يبدو عليه بعض الارتباك، ينظر إلى ساعته، يسرع فى حركته، ثم لمحت فى الحجرة التى أرشها شنطة سفر عند الباب...

أدركت لساعتها أنهم لابد مسافرون... سألت وأنا خالى الذهن:"خيرا... هل أنتم مسافرون؟"

وقبل أن يرد الرجل تدخلت السيدة الوديعة وقالت بنعمة المسيح ياأبونا سنسافر، أختى مريضة بالقاهرة وسنذهب لنزورها لأنها ستعمل عملية، أرجوك أذكرها فى القداسات.

قلت وأنا لم أفهم بعد:"يعنى مسافرين اليوم..." قالت السيدة:"إن أذن الرب لنا سنسافر الآن.." قلت:"إنتم حاجزين فى الديزل؟..." قالت بابتسامة غاية فى الوداعة:"نعم..." قلت:"الساعة كام؟... قالت:"ديزل ٨،٣٠..." نظرت إلى ساعتى وإذا هى ٨،٣٠... قلت:" ياخطيتى، لقد أخرتكم وفاتكم القطار..." قال الرجل:"طبعا فاتنا القطار، ولكن ماذا نفعل؟..." قال الرجل موجها كلامه لزوجته: "أنا قلت نأجل القنديل..." قالت:"محصلش حاجة ياأخويا بنعمة المسيح نسافر..." قال الرجل وقد بدا عليه الانزعاج:"يعنى إيه؟".

عندئذ فهمت ما كان يدور خلفى وأنا أصلى ولكن لم أدرك تمام الأمر، فقد حانت منى أثناء الصلاة التفاتة على همهمة سمعتها فلما إلتفت، وجدت الرجل يشير إلى ساعته لزوجته، ولكنها وضعت أصبعها على فمها تشير إليه ألا يتكلم، بل يحتفظ بالسكوت ويكمل الصلاة.

تأسفت أننى تأخرت فى الحضور إليهم، وكان ممكنا لو نبهونى لأسرعت فى الصلاة، أو حتى أجلنا موعد صلاة القنديل لحين رجوعهم من القاهرة، ولكنهم تأثروا جدا أننى أعتذر وأتأسف وقالوا:"لاذنب لك لأنك لاتعرف شيئا".

ونحن على هذه الحال قالت السيدة:"هل أتراذل عليك ياأبى وأطلب طلب سخيف؟..." قلت لها

"أنا تحت أمرك..." قالت:"إنت معاك السيارة؟..." قلت:"طبعا..." قالت لكى لانضيع وقتا فى الحصول على التاكسى، أرجوك ولو فيها تعب وصلنا إلى محطة القطار..." قلت:"بكل سرور.."

قال الرجل:"لماذا نذهب إلى محطة القطار وقد فاتنا الديزل؟... شىء غريب اللى انت بتطلبيه.." قالت لرجلها:"آمن فقط، نحن تأخرنا لأننا كنا نصلى، والصلاة قادرة على كل شىء... لقد نقلوا الجبال بالصلاة، وشفوا أمراض بالصلاة، وأطفأوا قوة النار... إحنا مش دائما نحكى عن أنبا ابرآم".

قلت:"هيا لانضيع وقتا... نزلنا السلم على عجل لأنهم كانوا يسكنون فى الدور العلوى... أسرعنا على السيارة، وبسرعة انطلقت بقدر ما أستطيع إلى محطة القطار وكنت بينى وبين نفسى أقول:"إن هذا الإيمان وهذه البساطة اللتان تتحلى بهما هذه السيدة قادران أن يفعلا المعجزات.

وصلنا بعد خمس دقائق إلى المحطة لأن منولهم فى الإبراهيمية لايبعد كثيرا عنها... أسرعنا نجرى وعلى الباب سألنا أحد عمال السكة الحديد:"قطار كام؟..." قلت له:"الساعة ٨،٣٠..." قال :متأخر عشرين دقيقة" وأشار إلى جهة قدوم القطار، وإذا به يصل حالا إلى المحطة.

اندهشت، ومجدت الله ساجدا فى أعماقى... ونظرت وغذاء وجه هذه البارة يشرق بصفاء... ثم نظرت إلى زوجها وقالت:"آمن فقط".

أمثلة للإخلاص

كلما أغرق العلم الذى نعيش فيه فى الرذائل والخطايا والتسيب والانحلال، وزادت حلكة الظلام كلما باتت الحاجة إلى النور شديدة وملحة، وهكذا الحال فى احتياج العالم إلى أمثلة القديسين الحية ونور المسيح فيهم.

على أنه على ندرة الأمثلة الروحية، تصير قيمتها غالية فى عينى الله والناس... فالأحجار الكريمة تقيم على قدر ندرة وجودها وتداولها بين الناس... والفضائل المسيحية كثيرا ما يعبر عنها بالجواهر واللآلى الثمينة... ليس من سيرة الإنسان الباطلة، ولكنها جواهر باقية دائمة لايأتى عليها الزمن بل تتلألأ فى الأرض وفى السماء وتبقى بقاء الخلود... لأنها ـ أى الفضائل المسيحية ـ تستمد من المسيح نفسه وتهدف إليه، فهو الغاية والوسيلة فى حياة الفضيلة.

ومن الفضائل المسيحية الغالية... الإخلاص... وقد حفل تاريخ الكنيسة المجيد بأمثلة لاحصر لها، ضربي أروع الأمثلة التى تكاد تشبه الخيال، مثال البابا زخارياس البابا ٦٤ فى عداد بطاركة كنيستنا، والذى تعرض للاضطهاد من الحاكم بأمر الله، حتى أنه ألقاه للأسود مرتين ولم تؤذه بقوة الله لأنه كان إنسانا طاهرا بسيطا.

يقول التاريخ أنه كان لهذا الأب البطريرك تلميذ حبشى ـ حسب عادة البطاركة ـ كان لصيقا به يخدمه ليل نهار، وكان مخلصا له أشد الإخلاص، فلما صار أمر الحاكم أن يلقى البابا للأسود، تمسك هذا التلميذ المخاص بهدب ثوب سيده... شىء عجيب لايصدقه العقل ـ ولكن لأجل هذا الإخلاص نجاه الرب من فم الأسود، فصارت الأسود التى استأنست للبابا تأتى وتلحس قدمى هذا التلميذ المخاص.

قل إنه مثل إخلاص أليشع لسيده ايليا... وهذا الإخلاص الروحى يرتقى بالتلميذ إلى أن يشارك معلمه فى الخيرات، والقامة الروحية التى ارتقى إليها... فهى ليست خدمة العبد فى المسيح وشركة الصلاة والصوم والتقديس وحمل الصليب.

أمور وقيم روحية ليست على شاكلة أهل العالم ولا الإخلاص الاجتماعى الذى يوجد فى العالم الزائل فكثيرا ما ينقلب إخلاص المصلحة والمنفعة، كثيرا ما ينقلب إلى عداوة، فالعالم متغير متقلقل وكل القيم التى فيه مبنية على تراب الجسد الذى يتغير وبحتمية أكيدة يزول وينتهى.

لذلك إن كانت الفضيلة تركز على الروح فى المسيح فقد كتب لها البقاء.

ومن الأمثلة الحية فى التاريخ ذلك الأرخن المسيحى الحقيقى الذى كان يتولى منصف وزير، فلما زاره الحاكم فى داره ووجد فى أحد أركان منزله سيدة مسنة مريضة ومتهالكة، فلما سأل عنها الوزير القبطى، قال له:"هى زوجتى ياسيدى..." فما كان من الحاكم بعد أن انصرف، أنه أرسل هدية إلى الوزير... ثلاث فتيات حسان المنظر، وقال له:"لك أن تتزوج من تشاء..." إذ كان الحاكم قد رثا لحال وزيره الأمين... ويقول التاريخ أن الوزير رد إلى الحاكم هديته شاكرا له وقائلا:"إن زوجتى ياسيدى فى نظرى هى أجمل نساء العالم كله وإننى سعيد بها ولاأعرف غيرها".

هو فى الواقع إخلاص روحى عميق... نابع من عمل الروح فى سر الزيجة، سر الأرتباط الأبدى، الجسد الواحد والروح الواحد... ليس إخلاصا اجتماعيا ولا إنسانيا، ولكن قد برهن هذا الوزير المسيحى أن الأمر أعمق من الجسد، وحاجات الجسد، وزينة الجسد، وشهوات الجسد التى كلها من تراب وإلى تراب.

ولماذا نحصر الأمر فى تاريخ ماضى، وكنيستنا حية وتاريخها ممتد غير مائت... فقد رأيت بعينى عشرات الأمثلة من هذا الإخلاص الروحى.

+كنت أزور أحد أحبائى فى الإسكندرية وهو مدرس ناجح مشهود له بعلمه وإخلاصه وبذله، وقد أصيبت زوجته وهى فى الأربعينيات بمرض الروماتويد، فأقعدها عن الحركة وشوه منظر أطرافها، فانثنت يداها ورجلاها ـ إذ قد تورمت مفاصل أصابعها ـ انثنت فى أشكال مؤلمة للنفس.

وحينما كنت أزوره كان يجلس إلى جوارها فى حنان بالغ يقبل يديها ويقول:"دى زوجتى العزيزة وبركتى فى حياتى وأنا غير أهل لها..." وكان جميع جيرانه وعارفيه احبائه يرون كيف يخدمها بلا تأفف ويزيد فى إكرامها وحبها... شىء مهول... وظل سنوات هذا عددها يزداد من إخلاص إلى أخلاص... وحينما اختارها الرب لينهى أتعابها، لم يصدق الناس مدى الحزن والدموع التى عاشها هذا الرجل المخاص... لقد برهن بحياته وسلوكه أن الأرتباط المسيحى يرقى عن الجسدانيات بمقدار ما علت السماوات عن الأرض.

+ومثل آخر فائق للإخلاص الروحى، رأيته فى شابة فى مقتبل العمر... كان زوجها يعمل فى أحد مكابس القطن، وقد فجعت الزوجة بحادث مروع لزوجها، إذ سقطت إحدى بالات القطن عليه فهشمت ظهره نتج عنها شلل كامل فى نصف جسده الأسفل، فصار كسيحا مدى الحياة... لايتحكم فى شىء... وظلت هذه الشابة المخلصة وهى إنسانة متدينة تقية كثيرة الصلاة والصوم ومحبة لحياة القديسين، ظلت تخدم زوجها المقعد مدى الحياة، وعبثا حاول من حولها أن يؤثروا عليها أو يغيروا فكرها من أن توقف حياتها على خدمة إنسان كسيح، فمن حقها أن تطلق وأن... وأن... ولكن إخلاصها كان أعظم من أن يتأثر بكلام الناس... وكانت تقول أننا فى الكنيسة وفى السر المقدس لم نرتبط على أساس الجسد فقط، بل صرنا روحا واحد ونفسا واحدة، والجسد مآله للتراب... وظلت هكذا أمينة وفية مخلصة لزوجها، وكان الرب يؤازرها بقوة ووجهها يشرق بالنعمة، وكانت أن كرست حياتها بإخلاص. وكان زوجها يجد فيها خير عزاء إذ كانت تشجعه على الشكر والصلاة غلى نهاية الحياة.

+ومثال آخر للوفاء والإخلاص ما رأيته فى أب كاهن جرب فى زوجته تجربة صعبة، إذ أصيبت بمرض نفسى... فكانت تجن فى داخل بيتها ولم تكن الأدوية ذات مفعول يذكر... هذا الأب أغلق نوافذ بيته ودأب

على خدمة زوجته بإخلاص منقطع النظير، إذ كانت معظم وقتها غائبة عن وعيها، فكان يخدمها كعبد وخادم ويقوم لها بكل حاجاتها فى صبر وشكر وإخلاص على مدى ١٥ سنة، ولم يعلم أحد من شعبه ولامحبيه مقدار ما بذل فى الخفاء، إذ كان رجلا يحتفظ بأسراره كمؤتمن من ا ، وكان يقول لى:"صدقنى ياأبى أنا العبد البطال الذى لاأفعل ما أمرت به... وربنا أحبنى واختارنى لكى أخدم وأنا أشعر بتقصير شديد من نحو خدمتى لزوجتى..." شىء مدهش حقا ولكن ليس كثيرا على روح ا الذى يعمل فينا أن نريد وأن نعمل من أجل المسرة.

وإن كان هنا نمجد هذه الأمثلة الروحية الحية ولانعترض للسلبيات وأمثلة الخيانة والتنكر للفضيلة أو الأنانية ومحبة الذات والسعى المحموم وراء المصلحة الذاتية وإلقاء المبادىء إلى الأرض ووطأ كل ما هو ثمين، بغية الوصول إلى ما يرضى النفس حتى ولو ضد وصايا ا .

نقول أننا نرى هذا كل يوم حولنا، وهو مؤشر مؤسف لإنحسار الروح ولكن بضدها تعرف الأشياء، لذلك أسوق هذا المثل لأعلى قيمة فضيلة الإخلاص أكثر فى عينى الذين يسعون فى الطريق...

+إنسان غنى معتبر من وجوه البلاد التى كان يعيش فيها فى إيبارشية أبوتيج فى صعيد مصر. أصيبت زوجته بمرض أقعدها سنين كثيرة ولم يكن قد رزق بنسل وكان هو وأقرباؤه يتمنون أن يكون له ولد يرث غناه من بعده ويحمل إسمه... كان فيما بينه وبين أقاربه يتوقعون وفاة الزوجة المريضة، ومن ثم يتسنى للرج أن يتزوج وينجب... فلما طال مرض الزوجة ولم تمت أشار عليه البعض أن يذهب إلى مطران ابوتيج المتنيح الأنبا مرقس ويطلب منه حلا للزواج، وزوجته على قيد الحياة... فلما ذهب إلى الأنبا مرقس وكان معروفا لديه... سأله الأنبا مرقس قائلا:"هل زوجتك تعيش؟..." أجاب الرجل بالإيجاب، وقال للأنبا مرقس:"أنها على هذا الحال بين الحياة والموت منذ سنوات..." قال له الأنبا مرقس:"يامقدس، الصبر كويس والحياة والموت فى يد ا والأفضل أن تنتظر..." قال الرجل:"ياسيدنا، إنت عارف حياة الأرياف وأنا لاأحد يقوم بحاجاتى من مأكل وغسيل وخدمة، وإن دخلت عندى إحدى السيدات فكلام الناس كثير، وأنا تعبت جدا وليس لى طاقة أكثر من هذا".

فخشى المطران أن يتصرف الرجل تصرفا أحمق قد يؤذى شعب القرية كلها لو غير ملته أو...الخ... فعاد المطران يسأله:"يامقدس، إنت عاوز تتجوز علشان أحد يخدمك ولاعلشان تنجب أولاد؟..." فرد الرجل قائلا:"لاعلشان حد يخدمنى... فقال له الأنبا مرقس بسلطان:"طيب روح تزوج... ولكن إن تزوجت بعشرة نساء لن تنجب نسلا"، وللأسف ذهب الرجل وتزوج وماتت زوجته الأولى بعد شهور قليلة، وكانت امراته الجديدة شابة لم تتزوج من قبل ولم تنجب نسلا وذهب إلى أطباء وقد أجروا كل الفحوصات فوجدوه طبيعيا هو وزوجته... وعبثا حاول أن ينجب ومات بغير نسل كما قال له الأنبا مرقس.

وقد ترك هذا التصرف أثرا سيئا فى نفوس الكثيرين، بل صار عبرة لكل من تسول له نفسه أن يتنكر للمبادىء، وأن يخون الأمانة أو أن يسلك بحسب هواه... ويطلب مجد نفسه.

قصة توبة خالصة

فى الستينات من القرن الماضى هبت على مصر موجة من الموضات الإباحية فى ملابس السيدات والفتيات... والناس فى مصر يتبارون فى تقليد كل ما هو أوربى بلا تمييز فى بعض الأحيان بين ما هو نافع أو ما هو ضار، وبين ما يليق وما لايليق... فكان أن معظم الفتيات والسيدات فى مصر صرن يرتدين هذه

الملابس القصيرة جدا، فكانت ظاهرة أزعجت كثيرا من الأباء الروحيين، وعبثا راحت كثير من التنبيهات أو الوعظ وكأنها راحت أدراج الرياح، بل أن كثيرا من الفتيات عزفن الحضور إلى الكنيسة خشية ما كان ينظر إليهن من نظرات التأفف والاستنكار، أو ما قد يلحقهن من تبكيت أو كلمات تلفت نظرهن إلى جادة الصواب.

وكان تصرف كثير من الخادمات والكهنة يزيد هؤلاء فى البعد عن الكنيسة... ولكن كان مسلك أبونا بيشوى كامل، وروح الحكمة والإفراز الذى فيه جعله فريدا فى تصرفه كرابح حكيم للنفوس... ملهم بالروح وحانى على النفوس بغير تفريط، وحازم بكل نفسه إلى تعاليم مخلصه، يقود إليها كل أحد بروح وداعة وإتضاع وحب حقيقى، فكم خاص نفوسا وأنقذها من فخاخ الشياطين.

فى يوم أحد أثناء القداس الإلهى حضرت إلى الكنيسة إحدى السيدات، وهى شابة فى الثلاثينات من عمرها وهى ترتدى ملابس لاتليق، ملفتة ومقززة للنفس، فكان يومئذ أن كثيرا من الذين كانوا بالكنيسة تأذوا من هذا الأمر... فمن ناظر إليها باشمئزاز، ومن معلق بكلام موجع... وكان من عادة أبونا بيشوى بعد أن ينتهى من صلاة القداس الإلهى، وبعد أن يعطى التسريح للشعب أن يقف بباب الكنيسة يسلم على كل واحد، يفتقد أحوال أولاده واحدا فواحد ويسلم على جميعهم بابتسامته العذبة ويسر فى أذن كل واحد بكلمات تعزية وكلمات تشجيع... وفى وسط هذا الزحام كانت هذه السيدة فبادرها أبونا بيشوى بابتسامة مشجعة، ولم يتكلم معها فى شىء ولكنه قال لها مرحبا ـ وكانت هذه هى أول مرة يراها ـ قال لها:"انت ساكنين فين؟..." فأعطته العنوان... حفظه للحال فى وسط هذا الزحام.

زارهم أبونا مساء نفس اليوم... بيتا دخله لأول مرة وفتح أنجيله وتحدث بكلمات نعمة بسيطة ولكنها حق إلهى يلمس القلب فتنفتح النفس عليه وتجد طريقها الذى هو المسيح.

لقد تغيرت الأسرة بأكملها كمن انفتحت أعينهم، ثم توالت زيارتهم زافتقاد النعمة لهم فكانوا فى فرح ونمو دائم.

وبعد أيام ليست بكثيرة أصرت هذه السيدة أن تحرق هذه الملابس التى لاتليق... حاول أبونا أن يثنيها عن عزمها... وقال:"ممكن نعطيهم لأحد يكون محتاجا..." فأبت قائلة:"أنه لايحب أن يلبسها أحد".

على أن أبونا بيشوى بحسب عادته لم يتكلم كلمة واحدة عن اللبس، كان يصل إلى جوهر النفس، يشفيها ويردها إلى مسيحها... فالمنظر ينضبط من تلقاء نفسه لأن المظهر هو الشكل الخارجى الذى قد يعبر عما فى الداخل... فكان منهج "طهر أولا داخل الكأس، حينئذ يتطهر خارجها..." هو الذى كان يشغل بال ابونا بيشوى، إذ كان قد أؤتمن على قلب المسيح وحب المسيح وحنان المسيح واهتمام المسيح بخلاص النفس ووصولها إلى حضن يسوع.

ضمير حي

ما أجمل وصايا الرب حينما تتجسم "معاشة" ويلمسها الناس عن حق ويقين ويشعرون بقوتها وإنها غالبة للطبيعة وفائقة عن كل ما فى العالم.

والاتضاع المسيحى هو قمة الفضائل كما عرفه الآباء القديسون ولاسيما إذا كان يمارسه رؤساء أو معتبرون... فإنهم يزينون تعاليم مخلصنا الصالح.

فى منتصف الخمسينات من القرن الماضى، وبالتحديد فى الفترة التى خلا فيها الكرسى البطريركى بعد نياحة البابا يوساب الثانى، كان يزور الإسكندرية الأنبا أثناسيوس المتنيح مطران بنى سويف السابق الذى كان

قائمقام البطريرك فى ذلك الوقت، وكان رجلا مشهودا له من الجميع بحياة النسك والالتصاق بالحق، وحياة الجدية فى القول والعمل وكان مهوبا من الجميع حتى مطارنة وأساقفة الكنيسة كانوا يعملون حسابه.

وكان الرجل فى شيخوخة صالحة، وقد أصيب بمرض السكر وأمراض أخرى كانت تجعلهخ فى أحيان كثيرة، متوترا يضيق بكثرة الكلام ولايحتمل كثرة المناقشات... وفى يوم من الأيام وهو نازل من قلايته بمبنى البطريركية فى الإسكندرية اعترض طريقه بعض الواقفين ليسلوا عليه ويأخذوا بركته، وكان بينهم ماسح أحذية، ولد فقير يقف معظم الوقت فى فناء البطريركية لعل أحدا يرغب أن يمسح له حذاءه فيعطيه شيئا، فتقدم هذا فى وسط الناس وقال:" ياسيدنا ألمع حذاءك؟"، فقال له المطران وهو كان يتعجل طريقه خارجا"لاياولادى..." فكررها الولد مرة ومرات بإلحاح والرجل يحاول أن يبعده عن طريقه... حتى تضايق الأب المطران ومن ضيقه أشاح بعكازه فى وجه الولد وهو متضايق وقال له بلهجة حازمة:"يا ياواد روح من وشى..." وهذا المنظر كثير التكرار فى مثل هذه المناسبات فكم من شحاذين أو محتاجين كثير الإلحاح وكم من مرات يهرب منهم الآباء أو يبعدونهم عنهم أو ينتهرهم المحيطين بخشونة أو ربما بالفاظ لاتليق.

انصرف الأنبا اثناسيوس وركب السيارة هو ومن معه وذهب إلى المكان الذى كان ذاهبا إليه وعاد بعد الظهر وكانت أيام صوم... ومع الغروب جهز الأب وكيل البطريركية مع الخدم مائدة بسيطة وعاد الأنبا اثناسيوس للإفطار فقد صار الوقت قرب السادسة مساء... جلس الأب المطران على المائدة، وقبل أن يبارك على الطعام قال للأب الوكيل:"إدع لى الولد ماسح الأحذية"، قال الأب الوكيل:"ياسيدنا لايوجد أحد الآن فى فناء البطريركية... كلهم يتركون المكان بعد الظهر ويذهبون... وهذا الولد لانعرف أين هو الآن... تفضل بارك على الطعام وكل وغدا نحضره... ثم أن هؤلاء الأولاد والشحاذين واخدين على كده طول النهار الناس تنتهرهم والبعض يشتمهم بسبب رزالتهم".

عبثا حاول الأب الوكيل أن يثنى عزم الأنبا اثناسيوس:"لاآكل وواحد زعلان منى..." سأل الأب الوكيل:"هل أحد يعرف أين يسكن هذا الولد؟..." قال أحد الفراشين:"أنا أعرفه هو ساكن في غيط العنب..." أصر الأنبا أثناسيوس أن يقول الولد "ا يسامحك..." عندئذ أخرج من جيبه نصف ريال وأعطاه للولد وقال:يا ابني أنا راجل عيان ومش مستحمل... روح متعملش كده تاني..."

عندئذ بارك الأنبا أثناسيوس على الطعام وتناول هو والحاضرون معه. وكان يتحدث جميع الذين عاصروا هذه الواقعة كيف يكون الضمير حيا إلى هذه الدرجة وكيف يكون الاتضاع حتى أمام أقل الناس.

شيء عجيب يبكت الإنسان الذي كثيرا ما يلتمس لنفسه الأعذار وكثيرا ما يتعامل مع الأقل منه بصورة غير مسيحية ولا يحاسب نفسه... انظر وتأمل كيف عاش الآباء بتدقيق وكيف حفظوا ناموس المسيح وعاشوا الوصايا.

كنت أذكر هذه القصة أمام المقدس إبراهيم جرجس والد الدكتورعيسى جرجس صاحب مستشفى فيكتوريا بالاسكندرية وسكرتير المجلس الملي السكندري... وكان المقدس إبراهيم من أعزأحبائي وكان يحلو لنا أن نتعزى بسير الأفاضل والأتقياء من الأبرار المعاصرين.

فقال لي المقدس إبراهيم: "كنت أستضيف المتنيح الأنبا أثناسيوس في بيتي عندما يحضر إلى الاسكندرية وكان لابد أن يقضي يوما عندي ويبيت إلى الصباح... وي يوم كان نازلا عندي ودخل حجرته ليستريح... وكان ابني عيسى في كلية الطب ولم يكن يعلم أن الأنبا أثناسيوسداخل حجرته – فدخل دون أن يسأل إلى الحجره لكي يأخذ كتابا منها، ففوجىء بالمنظر – وجد الأنبا اثناسيوس وقد خلع ثياب الأسقفية ووجده لابسا ثيابا فقيرة جدا وراقدا على الأرض... لم يكن يرقد على السرير...فوجىء الرجل بمن يفتح الباب، فقال" من

بالباب؟..." تدارك الدكتور عيسى الأمر وتراجع بسرعة شديدة وقفل الباب ووجد والده يصرخ في وجهه قائلا:"إسأل يا ابني أولا،لماذا تفعل هذا؟..." قال الدكتور عيسى: "لم أكن أعلم أن أحد بالحجرة..." اعتذر المقدس لسيدنا عما حدث وكان الرجل بسيطا مثل الطفل سريع الصفح... ولم يكن أحد يعلم أسرار حياته وأسرار نسكه حتى نياحته، لقد كان يخفي حتى عن الأخصاء حياته الخاصة... إنها فردوس مغلق.

أمثلة للشكر في المرض

الآباء القديسون معلموا البيعة، وضعوا المريض الشاكر بلا تذمر والقابل أمراض الجسد وأتعابه كهبة وعطية من ا بلا شكوى أو اضطراب، وضعوه في رأس قائمة المطوبين لدى الرب، والذين ينالوا الأكاليل السماوية مثلهم مثل المجاهدين في العفة والطهارة، ومثل الذين وضعوا أنفسهم عبيدا للطاعة محبة في المسيح.

وقد رأيت في حياتي أمثله نادرة للشكر على المرض والرضى القلبي رغم قسوة الآلام الجسدانية.

أعرف في المسيح سيدة تقية عابدة وخادمة للمسيح ربطتني بهم لة روحية منذ عام ١٩٦٥ حين كنت أخدم أحيانا في كنيسة رئيس الملائكة الجليل ميخائيل بكفر الدوار...كانت هذه ألخت المباركة مع زوجها الطيب وطفلان صيغران يمثلون بحق نموذج الأسرة المسيحية الوادعة، لايشغل بالهم سوى الحياة مع ا ولا يدخل السرور إلى قلبهم إلا التفافهم حول مائدة الكلمة الغنية يشبعون من غناها.

أما الكنيسة بأسرارها وأعيادها ةاجتماعاتهافهى مجتمعهم المثالي حيث يكون نموهم وراحتهم كمثل العصفور الذي وجد يته وأمنه وغايته معا.

وكقول ربنا ن اليت المؤسس على الصخر – الذي هو لمسيح ذاته – تأتي عليه الرياح وتنزل نوازل الأمطار وتصدمه فيزداد رسوخا وثباتا يستمده من أساسه الراسخ الذي هو صخر الدهور.

تعرض أحد الأبنين وهو شاب تي بحسب نشأته وتربيته في المسيح وهو في بداية العشرينات من عمره لتجربة غاية في القسوة، إذ بينما يمارس هوايته في السباحة في أحد حمامات السباحة أن قفز إلى الماء، فاختل توازنه وارتطم بأرضية الحمام، ونقل على الفور إلى المستشفى، فاقد الحركة، وبعد المجهودات الطبية المكثفة عاد إلى وعيه، ولكن إصابات بالغة كانت قد أصابت نخاعه الشوكي أدت إلى شلل كامل للنصف الأسفل من جسمه مع بعض الإصابات في افقرات العليا وهذه تركت آثار أخرىفي اليدين.

كانت تجربة قاسيه بكل المقاييس... اهتزت لها قلوب الأحباء ورفعت من أجلها صلوات وسكبت الدموع... صار هذا الشاب الذي في مقتبل العمر كسيحا مقعدا، يجلس على كرسي متحركويحتاج لمن يعوله حتى في الأمور الضرورية وهذه خدمة شاقة جسديا و نفسيا له ولمن حوله.

ولكن يشهد جميع الأحباء – وهم كثيرون – أن الأم الفاضلة بإيمانها في المسيح وحبها، والأب صاحب الإيمان قد جاز نار هذه التجربة بثبات وثقة في ا ، حتى أن تجربتهم هذه قد صارت درسا وتعزية للكثيرين.

وقد حولت يد ربنا الحون هذه التجربة لخير جزيل، فالشاب الطيب صار سندا لكثيرين... تعلم الكمبيوتر وصار يستخدمه للخدمة والإتصال بكثيرين يسندهم ويشجعهم ويراسلهم... لم يكف عن خدمة مخلصه الصالح.

مرت سنوات والأم لا تكل ولا تتزمر، بل تخدم بشكر إن كانت آلامها كأم لا يعبر عنها... لكن ما رآها أحد متذمرة أو متضجرة، فصارت مثلا للإحتمال... الأب بمرض في القلب ولكن ا تمجد معه ونجاه ونظر إلى تضرعات الأحباء من أجله، ومرت تجربته بسلام.

ثم بعد ثلاث سنوات أحس الأم ببعض الأورام في صدرها ولكنها أخفت الأمر عن كل أحد، فهي تعلم نفسية إبنها المريض، وقد صار ملتصقا بها بشدة كطفل صغير، بسبب خدمتها له احتمالها، وروح الكر والشجاعة التي فيها.

خشيت أن تقول أو تشكي... ولكن بعد بضعة شهور لم تعد قادرة على الكتمان..كان يزورها أحد الأقارب وهو طبيب، رآها ليست على ما يرام، فلما ألح في السؤال كشفت له أمرها... فلما كشف عليها فوجى أن الأمر خطير جدا... وقد أسرع إلى المستشفى يجري أشعات وفحوصات... وإذ المرض منتشر في كل جسدها بل لقد لحق العظام أيضا.

جاءني لطبيب في هلع... وكنت وقتها في زيارة قصيرة لمصر وأبلغني بالتفصيل ما رأى... أسرعت إلى منزلهم في الحال وذهلت إذ رأيتها في سلام لا يعبر عنه... كل همها في ابنها لا تريده أن يفقد إيمانه في ا ... تريده أن يقبل الأمر بشكر.. أما عن نفسها، فكانت تقول لست أهلا أن يعطيني لمسيح كل هذه الأكاليل.

إن أبونا بيشوي كان دائما يقول عن هذا المرض بالذات أنه يعطي فرصة للتوبة ويزكي النفس وينقيها ويقربها إلى الل لكي تكون ذبيحة مقبولة.

وقد ذكرتني هذه الأخت وهي تقول هذا الكلام بما قاله أبونا بيشوي لي و نحن في لندن في يناير عام ١٩٧٧، قال لي بالحرف الواحد: "تعرف يا أبونا ليه ربنا داني هذا المرض؟..." قلت:"ليه..." قال: "لكي أتوب، لأن الكاهن لابد أن يكون تائبافعلا ويحيا حياة التوبة لكي يقود الآخرين إلى التوبة..." فلما رجعت لما كتبه آباء الكنيسة الأولين وجدت مكتوبا عن الأسقف أنه تائب يقود التائبين إلى طريق السماء.

تعزينا كثيرا وزاد إيمانا بالذي أحبنا عندما وجهنا فكرنا هكذا إلى السماوات ولم نرتبك كثيرا بما للجسد من أمراض وأوجاع، فكل جسد كعشب، وكل مجد جسد كزهر العشب كما يقول الكتاب، وصلينا واستودعنا كل شيء في يد المسيح الذي بيده أمر حياتنا.

ما اجمل حياة التسليم وما أروع حياة الشكر ولا سيما لمن أختبروا بالآلام في الجسد.

أيقونة جميلة

تعجبت جدا زلم أتمالك نفسي وأنا أمام هذه الأيقونة الجميلة لشابة في الثلاثين من عمرها... فقيرة محبة للفقراء... لذاك وهبت نفسها لخدمتهم، ثم خصصت الجزء الأكبر من قلبها ووقتها للمرضى منهم... تفتقدهم وتعزيهم وتقرأ لهم الإنجيل وتصلي معهم المزامير على قدر طاقتها واحتمالهم... وترعى أحوالهم رغم محدودية مصادرها... ولكن هل خدمة المسيح تتعطل بسبب أمور مادية؟... وهل الذي أرسل رسله بلا كيس يتخلى عن خدمة الفقراء؟... كلا لم يعوزها شيء... بل كانت قدرة المسيح وذراعه للضعفاء وترتيبه الفائق المعرفة.

ولكن الشيء العجب من هذا أنها حين تخدمهم بهذا القلب الملتهب، كانت تطلب من الميح أن يأذ من أمراضهم وعطيها، وكم تمنت أن تبذل نفسها لأجلهم.. ولكن كانت فيما بينها وبين نفسها تتسأل هل هذا المر يزعل ربنا؟....أن تشتهي أمراضهم وتحمل نيرهم ولو تستبدل جسدها بجسدهم... ظل هذا الأمر في قلبها يلهبها بمشاعر يعجز التعبير عنها.

كانت قد تزوجت منذ سنوات قليلة ورزقت ولدا صار له من لعمر ثلاث سنوات.

حدثني أحد الأحباء وهو جراح موهوب وخادم للمسيح... وكنت في وقتها في مستشفى فيكتوريا بالإسكندرية. حدثني عن هذه الأخت أنها مريضة في المستشفى وقد أجرى لها عملية إستئصال الثدي، ولكنه فوجىء أن المرض منتشر بشكل مخيف، وأن حياتها في خطر بسبب هذا المرض القاتل.

زرتها في حجرتها... وأشهد أمام المسيح إنني رأيت ثبات القدسين في الشابة الصغيرة... فابتسامتها مشرقة تنبع من سلا م قلبي لا تفارق وجهها، وقالت: "لقد طلبت من المسيح أن يعطيني سلامه فأعطاني سلاما... لم أنم في حياتي في راحة وسلام قدر ما نعمت بالنوم في تلك الليلة... ولما مددوني للعملية شعرت أنني مع يسوعي الحبيب ممدة على عود الصليب... قلت له : "في يديم أستودع روحي... وانا واثقة أنه يعمل معي بحسب صلاحه وحبه الذي أحبني به قبل كون العالم".

ليس سندا للنفس في ضيقها سوى سند الإيمان بالمسيح... حين تجد النفس المسيح مجربا في كل شىء يقدر أن يعين المجربين.

وقد ذكرتني ذه الأخت حين سمعت منها شهوتها ان تشارك المتألمين وتحمل عنهم أمراضهم، ذكرتني بالقديس الأنبا أغاثون الذي كان يشتهي أن يبادل إنسان مجزوما، فيأخذ جسده المشوه بالمرض ويعطيه جسده عوضا عنه... كذلك بالأب الذي قيل عنه أنه كان يصلي قائلا: "يا رب آلمني بألم أخوتي المرضى والضعفاء..." إنه اخيبار حقيقي لمحبة المسيح وشعور رسله الأطهار "من يضعف وأنا لا أضعف..." "احملوا بعضكم أثقال بعض وهكذا تمموا ناموس المسيح".

تركت حجرة هذه المريضة العجيبة وعدت مره اخرى إلى الطبيب الجراحن أستفسر منه بأكثر تفصيل عن حالتها. قال ان المرض منتشر وقد لاتعيش أكثر من بضعة أسابيع... سافرت وعدت إلى الإسكندرية بعد سبعة شهور، سألت عنها وجدتها متهللة بفرح لا ينطّق به، فقد أنعم الرب عليها بصحة عجيبة وهي بروح جديد وفكر جديد وحب شديد، بالأخص نحو المطحوني بالأمراض... لم تعد الخدمة مجرد مشاعر وكلمات مواساة ورثاء، بل صارت شركة آلام وحياة ورجاء في المسيح بل وثقة في من حمل أمراضنا وكسرشوكة الموت عنا.

أوشية المسافرين

ليس عبثا أن تضع الكنيسة في صلاتها أوشية خاصة من أجل المسافرين تصليها كل أيام الأسبوع في رفع بخور باكر، ماعد السبت حيث نصلي أوشية الراقدين ثم الأحد حيث تقال وشية القرابين، بحسب التقليد القديم الذي يرجع إلى العصر الرسولي، عندما اوصى القديس بولس الرسول أن يقدم كل واحد قرابينه في يوم الأحد ويجمعونها إلى أن يجيء لكي يرسولنها إلى فقراء أورشاليم في ذلك الوقت.

ولأن السفر تحفة الأخطار منذ قديم الزمن، لذلك لزمت الصلاة لكي يسهل الرب الطريق إن كان في البحار أو الأنهار أو الهواء(في أيامنا)، أو الطرق المسلوكة أو المسافرين بأي نوع.

وتطلب الكنيسة أن يصحب الرب المسافرين ويكون معهم في الإقلاع وفي المسير، ويشترك معهم في كل عمل صالح ويردهم سالمين، ثم تدور الصلاة في الأوشية لتخدم الغرض الأسمى وهو الحياة الأبدية التي نسعى نحوها، فيقول الكاهن: "ونحن أيضا يا رب غربتنا التي في هذا العمر احفظها بغير مضرة ولا قلق ولا عاصف إلى الأنقضاء... فنحن جميعا والحال هكذا مسافرين إلى وطننا السماوي والرحلة محفوفة بالمخاطر، فنطلب إلى المسيح أن يوصلنا إلى الميناء بسلام.

هذا تدبير الكنيسة الملهمو ما أجمل أن يحياه الإنسان ويتنعم به... وقد اختبر الكثير من الآباء والأحباء عمل ا في أسفارهم، ويكفي أن يسجل القديس بولس الرسول في رسالته الثانية إلى كورنثوس خبرته التي لاتنسى في هذا الأمر حين إنكسرت به السفينة وقضى ليلا ونهارا معلقا بلوح خشبي، وقال أنه يأس من الحياة، وكان له في نفسه حكم الموت فعلا.. و لكن ا نجاه بأعجوبة لكي لا يكون فيما بعد متكلا على ذاته بل على ا الذي لنا رجاء فيه أنه سينجي فيما بعد.

هكذا تعاقبت الأجيال وكثرت الاختبارات وسجلت في حياة المؤمنين أعمال ا التي يتعجب لها، والتي طالما قدم المؤمنون ذائح سلامة على أثر نجاتهم من موت محقق.

أذكر انني في سنة ١٩٦٧ كنت قد سافرت من الإسكندريةإلى القاهرة لأجل خدمة وكان ذلك يوم السبت، ثم صليت صباح الأحد في الكاتدرائية المرقسية في الإسبكية و صعدت لكي أخذ بركة البابا المتنيح الأنبا كيرلس السادس...فقابلني كعادته بمحبته الأبوية وابتسامته العذبة سألني عن أحوالي وأحوال الخدمة والمنيسة وعن أبينا بيشوي كامل وأبينا تادرس يعقوب... ثم استأذنته في الانصراف لني كنت قد عزمت على السفر في ذلك اليوم الأحد، فسألني الباب : "رايح فين يا ابني؟..." قلت له: "مسافر إلى الإسكندرية يا سيدنا".

قال: متي؟."

فقلت: "اليوم".

قال: "النهارده الأحد يا ابني... محدش يسافر يوم الأحد... ده يوم الرب".

قلت: "حاللني يا سيدنا لأني مرتبط وعندي أكليل بعد الظهر وخطوات أخرى".

قال: "بس يوم الأحد بيصلوا القرابين، مش بيصلوا المسافرين..."

فترجيته وقلت: :أنا آسف يا سيدنا... ظروفي كده... غصبا عني... حاللني وأسمح لي".

فقال: "متعملش كده تاني".

قلت: "صلي عني".

وعلى غير العادة أمسك برأسي وصلى لي صلاة طويلة. وصرفني بدعاء حلو وابتسامة عريضة، فقبلت يده وسرت في طريقي.

ركبت ديزل صغير كان في أيامها عبارة عن ثلاث عربات، عربة درجة أولى وعربتان درجة ثانية.. وكان مقعدي خلف كابينة القيادة، وكنت أنظر السائق أمامي خلال الزجاج الفاصل بيننا... سار القطار حوالي ٢٥ كيلو مترا من القاهرة وقبل مدينة قها أو بعدها يوجد مزلقان ... وعلى بعد حوالي كيلومتر رأيت هذا المنظر المفزع... المزلقان مفتوح وعربية كارو تحمل زجاجات كبيرة تعطلت فوق المزلقان تماما، العربة يجرها حمار، والحمل يبدو ثقيلا جدا، والمزلقان مرتفع قليل... فلما صعدت العربة إلى نصف الطريق وقع الحمار تحت نيرالحمل وهو فى منتصف المزلقان... وا وحده يعلم ماذا كان بهذه الجمدنات الكبيرة؟.. ربما مواد كيماوية أو خلافه.

القطار يسير بسرعته"، عبثا حاول السائق أن يبطىء السرعة أو يستخدم الفرامل، فالمسافة قصيرة ونحن نقترب بسرعة... سمعت صرخت السائق حينما اقتربنا ربما مئتا متر من المزلقان.. ورأيت السائق يفتح باب الكابينة إلى جواره وعلى وشك أن يقفز ويترك القطار لمصيره المحتوم.

صرخ الركاب الجالسين خلف الكابينة والذين كانوا مثلي يرون هذا المنظر المرعب... صرخت من كل قلبي أطلب معونة ا .. إنه خطر الموت... ويا للعجب كان بعض الفلاحين الذين رأوا هذا المنظر قد تكاتفوا

يدفعون العربة بكل قوة... وقد حدثت المعجزة إذ إنزلقت العربة مندفعة إلى أسفل في ذات اللحظة التي اقترب فيها الديزل من المزلقان.

عشرات الأمتار كانت تفصلنا عنها.. واندفع الديزل دون أن يصطدم لا بالعربة ولا بأحد الفلاحين... كانت ثوان بين الحياة والموت.

تذكرت في الحال كلمات البابا... وتحسست رأسي التي أمسكها بقوة مصليا من أجلي... لقد أدرك مسبقا الخطر وشفع في لكي أنجو لست أنا فقط بل وجميع الذين معي أيضا... يومها مجدت ا وشكرت صنيعه العجيب.

وبعد أسابيع كنت في القاهرة... ودخلت إلى البابا وداعبني قائلا: "هتسافر تاني يوم الأحد؟..." قلت له: "حرمت..." وحكيت له ما حدث وأعتقد أنه كان يعلم تمام، واعترفت أمامه قائلا: "صلاتك نجتني من الموت..." فقال في اتضاعه: "صلاة القديسين يا ابني".